

رَحْلَةُ مُحَمَّدٍ الْكَبِيرِ

”باي الغرب البجراي“

إلى البجنوب الصحراوي البجراي

أحمد بن هطال النلمساني

رَحْلَةُ مُحَمَّدٍ الْكَبِيرِ

”باي الغرب الجزايري“

إلى الجنوب الصحراوي الجزايري

تحقيق وتقديم
محمد بن عبد الكريم

الناشر
عالم الكتب

الطبعة الاولى يونيو ١٩٦٩
الناشر : عالم الكتب
الطبعة : مخيم

٣٨ شارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة ت ٥١٤٠١
٢٩ شارع الجيش بالقاهرة ت ٥٠١١٩٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. صَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فِي سَلَامَةٍ وَالْبُزْ أَصَابَهُ وَجَاءَ إِلَى الْبَابِ كَمَا
 وَخَشَعُ قَرَأَ وَاحِدًا وَمَصِيحَ الْإِسْبَاحِ لَهَا وَكُتِبَ
 وَفِيهَا خُصَمَاءُ بَانْتِخَرُوا مِنْهُ إِلَى كَامِلِهِ
 وَالْفَضْلُ وَالسَّلَامُ عَلَى شَيْءٍ وَمَوْلَا مَا صَمِ
 أَبْجَلُ مِنْ قَامِ وَمِنْ فَكَمَاءُ وَصَلَّى الْآخِرُ بِ
 رَجُلٍ الصَّبَا غَضَبَهُ أَمَلَتْهُ شَرَفًا وَعَلَى النَّاسِ
 وَكُلُّ مَا خَلَّ الْعُلُومَ قَرَأَ وَأَجْلَاهُ صَاسَا وَفِي
 فَهُوَ أَحْزَمُ مِنْ غُلَّةٍ عَلَيْهِ صَلَّي الْآخِرُ بِشَيْءٍ كَانَ مِنْ
 وَأَفْضَلُ مَا شَفَعَتْ فِيهِ الرَّحِيمُ الْغَنِيَّةُ وَتَحْمُ الْإِيَّةُ
 الْمَكْمُورُ أَنْ تَكُنْ أَنْدَبَهُ مِنْ قَبْلِ الْوَجْهِ وَفِي
 حَقِّكَ تَنْكَارُ أَجْلَاهُ وَالشَّيْءُ قَامَتْ شَعْلُ
 بِهَ صِلَاهُ كُلِّ فَوْكٍ وَصَنَفَتْ فِيهِ الْبَارُ كُلِّ
 عَصْرٍ حَسْرَتٍ مِنْهُ أَنْفَرَامٍ وَكَثَرَتْ مِيَامُ
 سَائِلُ وَالرَّوَامِ مِنْ مَعْلُومٍ أَعَزَّ وَكَرَّ كَبَرُ
 وَبِأَخْلَى غُتْرٍ وَكَثَرَتْ دِرْفُهُ وَبَعْضُ أَكْثَرُ عَمَلٍ الْمَعْلُومِ
 وَشَيْءٌ بِشَرَفٍ عَمٍ وَصَلَّى وَبَعْدَ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ

نرح



واحوجهم الى توفيقه وتيسيره ارحم من الله
 بفتح الميم بي عنه يا ارحم الراحمين كمال كماله من الله تعالى
 ان يجبر صدق قلوبنا ويغفر جميع ذنوبنا وان يجعل الله
 لستعد لاننا لمعاندنا له ولي ذاك والفاد عليه وعلى
 الله على سيفنا محمد وواله عهد ما ذكرنا الذي اكرروا
 غفل عن ذكره الغافلون وواضرد عوانا ان الحمد لله رب
 العالمين كل تقويم هذه الاوراق عشية يوم
 الخميس الثاني والعشرين من شهر الله في الفهدة
 سنة اثنى بعد المائتين والالف على يد عبيد
 ربه واحوجهم اليه المفضل بن نبيه وتقصيره محمد بن
 البشير بن محمد اقرأى التمساني دارا ومنشور
 الدلة ولوالديه ولاحتياخه ولجميع المسلمين والمسلمات
 والمؤمنين والمؤمنات واللات واللات
 والاسماء والاعوان ولا فكل الاله
 العلي العظيم وداخر

عوانا ان الحمد لله

رب العالمين

٢٢
يوم ذي القعدة ١٢٠٢

سنة ١٢٠٢

21

2

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَحَبِيبِهِ

[illegible]

تصدير

تحقيق مخطوط قديم عمل فني وهادف في نفس الوقت : فهو عمل فني لأنه يقوم على قواعد أساسية ويتطلب مهارة وإخلاصا وتجردا . وقليل من الناس في كل أمة وكل جيل يستطيعون القيام بهذه المهمة الشاقة الدقيقة . أما كونه عملا هادفا فلأن بعث المخطوط يخدم فكرة ، وبالتالي مصلحة وطنية وإنسانية . ولعل هذه من الحالات النادرة التي يجمع فيها المرء بين إخلاصه نفسه وإخلاصه لهدفه الإنساني . وإن ظاهرة العصر الذي نعيشه ، ظاهرة التحرر من الاستعمار ، تبرر الجمع بين هذين الإخلاصين .

الذين عرفوا الاستاذ محمد بن عبد الكريم ، محقق مخطوطة « رحلة محمد الكبير » يدركون ما أعنى . فهو يبدي كثيرا من الاهتمام بالمخطوطات ، ولا سيما تلك التي تتناول حياة الجزائر عبر القرون الأربعة الماضية . وقد أطلعني على عدد من الأعمال التي قام بتحقيقها كما أطلعني على عدد من المشاريع التي يعتزم يبعث الحياة فيها . وقد وجدت من خلال ذلك كله إنسانا ذووبا مخلصا لمهنته الثقافية .

وإن نظرة سريعة إلى المؤلف وموضوعه تؤكد ذلك ، فابن هطال شخصية هامة في تاريخ الجزائر واسكنها مغمورة . فهو كستشار ، وكاتب ودبلوماسي ومحارب قد عاش فترة خصبة من تطور هذه البلاد جديدة بالتسجيل والبعث . أليس ابن هطال نفسه هو الذي يعرف التاريخ بأنه « من أجل العلوم قدرا » وأكملها محاسن ونجرا . . . إذ به عرفت قدماء الأمم . . . » ؟ وقد سجل في كتابه رحلة محمد الكبير ، باي وهران إلى الجنوب « مقدرا » كما يقول ، « بالسوائع مراحلنا ومبيننا منازلنا ومناهلنا » وإذا كانت شخصية ابن هطال

هامة ثقافيا فإن موضوعه هام من عدة جوانب . فإن الرحلة تتضمن أخبارا جغرافية واجتماعية وسياسية وعسكرية وأدبية لا يستغنى عنها أى دارس للجزائر خلال القرنين الماضيين . وبالإضافة إلى ذلك فإن محمداً الكبير ، الذى كان سببا فى تأليف الكتاب كان شخصية جديرة بتسايط الأضواء ، لأنه تقلب فى مناصب مختلفة وشهد تطورات كثيرة وساهم بقسط وفير فى خلق تلك المناصب وتوجيه تلك التطورات . فقد شغل منصب باى ، واشترك فى الحرب ضد الأسبان ، وقاد بنفسه حملة ضد الصحراء لإخضاع أهلها إلى سلطة الداي ، كما عرف عنه أنه قد شجع العلماء والأدباء والطلبة وأقام المدارس والعمارات .

والعلنا ندرك ، من ذلك كله ، أهمية هذا الكتاب وقيمة العمل الذى قام به الاستاذ محمد بن عبد الكريم . وإننا نأمل أن يوفق فى أداء رسالته لنفض الغبار عن الآثار التى ظن البعض أنها قد دفنت ، بينما هى فى الواقع ما تزال حية غنية لا تحتاج إلا إلى يد مخلصه وقلم شريف وقلب مليء بحب الإنسان .

الدكتور أ . عمر الله

٩ جوان ١٩٦٨

تقديم

هذه سابعة سبع مخطوطات^(١) ، قد قمنا بتحقيقها ، وبذلنا جهداً كبيراً في إخراجها من زوايا الإهمال ودهاليز النسيان ، حتى يستفيد منها الجمهور ، ويطلع على ماضي أجداده وبلاده ، متوخين بذلك إفادة الطالب من محتوى المطلوب .
ولسكل من تلك المخطوطات موضوع خاص ، ووجهة نظر ، من حيث معالجة البحث ، وطريقة التأليف ، وأسلوب التعبير .

(١) وموضوع هذا المخطوط ، مرحلة معينة من مراحل التاريخ العياني ، وفترة محدودة من فترات الزمن ، فقد عاشها المؤلف ليقيد حوادثها ، ويحبر ما هو أجدر بالتحبير ، فيطلع عليه من يأتي بعده من أبناء البشر . وذلك كله تلبية لبأى وهران محمد الكبير ، ونزولاً عند رغبته ، وترباً بهذا التأليف إليه .
ولم يأل المؤلف جهداً في تحديد الأيام وضبط الساعات . ولم يفته ذكر أما كن تلك الحوادث .. بأسمائها المعروفة بين أهلها : « أما بعد : فإن التاريخ من أجل العلوم قدراً وأكملها محاسن وفخراً ، إذ به عرفت قدماء الأمم ، وبه حفظت مكارم أخلاقهم والشيم .. أردت أن أذكر منه نبذة ، أخدم بها قاصع المبغضين ، ومدوخ المارقين ، مقتصرأ على ذكر خروجه إلى جهة القبلة عام تسعة وتسعين ومائة وألف ، مقتدراً بالسوائع مراحلها ، ومبيناً منازلها ومناهلها » .

(١) وهي : ١ - آخاف المنصفين والأدباء ، لمحمدان خوجة . ٢ - وشاح الكتائب لقمودور بن رويلة . ٣ - التحفة المرضية ، لابن ميمون الجزائرى . ٤ - رحلة أحمد باى . ٥ - رحلة محمد الكبير باى وهران . ٦ - بهجة الناظر ، لعبد القادر المشرقى . ٧ - القول الأوسط فيما حل بالمغرب الأوسط ، لأحمد الشقرانى .

(ب) وطريقة التأليف في هذا الكتاب تقليدية بحثة ، فهي تعتمد على سرد الوقائع وذكر الحوادث وكفى . فلا تحليل ، ولا تعليل ، ولا سبب ، ولا مسبب . ولعل ذلك راجع إلى شخصية المؤلف من حيث ثقافته المحدودة ، وعيدته الصوفية التي توحى إليه بأن كل ما كان أو سيكون ، فهو من الله جاء وإليه يعود .

(ح) أما أسلوب التعبير في هذا التأليف ، فقد جاء صورة مطابقة لعصر المؤلف ، معبرة لنا عن مدى ثقافته التي كانت فقهية أكثر منها أدبية .

ويبدو لنا ذلك جلياً في تطوير فقراته بآى الذكر الحكيم ، مثل قوله : « الحمد لله فائق الإصباح وجاعل الليل سكناً » ^(١) ، كما تقضح لنا عقيدته التسليمية في جملة الاعتراضية ، مثل قوله : « فإذا نظر العاقل هذا الجبل ، ظهر له ما يدل على قدرة الله تعالى ، التي لا يعجزها ممكن — فسبحان مكون الأشياء بقدرته ، ومظهر العجائب بحكمته » ^(٢) . ومؤلفنا يكثر من الأسجاع الركيكة ويتكاف في الإتيان بها ، ولو أدى به هذا التكاف إلى التضحية بالمعنى المراد ، كما نجد — أيضاً — يسوق أفاضلاً عامية المبني ، أقليلية النزعة . ولم يرتب الكتاب أبواباً وفصولاً حسبما جرت به عادات المصنفين القدامى . ولعل ذلك راجع إلى ضيق الوقت ، وفقدان المهلة ، لأنه قد حبره أثناء سفر لا يسعه فيه الترتيب والتبويب .. « لأننى قيدت هذه الأوراق في أثناء سفر ، ولم تصحبنى كتب .. أستعين بها » ^(٣) .

(١) مقدمة الكتاب ، ص : ٢ .

(٢) ص :

(٣) ص :

ثم لم ينظر فيه فيما بعد ، لينفتح جملة ، ويعسل عباراته ، ويقرب معانيه .
ومهما يكن الأمر ، فإن هذه الرسالة ذات أهمية كبرى من ناحية الحقائق التاريخية ، لا سيما منها الإقليمية التي قلما نجدها في غير هذه الرسالة .

وقد أحببنا أن تقدم هذا التأليف — وبالأحرى هذه المذكرة — إلى جمهور المثقفين لا سيما منهم المؤرخين الذين لا يودون أن يدعوا كبيرة ولا صغيرة تفوتهم دون أن يقابوها على جميع جوانبها ، حتى تتكشف لهم حقائقها على ما هي عليه ، فيمعنوا النظر في معانيها ومبانيها وأسبابها ونتائجها .

التعريف بصاحب الرسالة

نسبه : هو أبو العباس الحاج أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن هطال التلمساني .

وظيفته : كان كاتباً ومستشاراً لمحمد الكبير باي الإيالة الوهرانية ، ومبعوثاً له في المهمات الخارجية . فقد حدثنا أحمد بن علي بن سحنون في كتابه « النغر الجاني في ابتسام النغر الوهراني » أن محمداً الكبير — عندما كان يستعد لفتح وهران — وجه كاتبه أحمد بن هطال مع قاضي المحلة ، مصحوبين بهدايا إلى سلطان المغرب الأقصى ، ليسمح لهما بشراء ما يحتاج إليه الباي من أسلحة حربية .

ومن هناك ، توجه أحمد بن هطال إلى جبل طارق ، حيث وجد — في انتظاره — قطارين ونصف قطار من البارود قد اشتراها الباي من الإنجليز ، فعبأها وعاد بها إلى بلاده .

وبعد وفاة الباي محمد الكبير ، ظل ابنه عثمان باي يشغل نفس المنصب

الذى كان مشغولاً به أبان حياة أبيه ، ثم لما توفى الباي المذكور ، أصبح ابن هطال كاتباً للباي مصطفى بن عبد الله العجمي رابع بايات الإيالة الوهرانية .

وفاته : استشهد ابن هطال في معركة وقعت بين الأتراك وابن الشريف الدرقاوى وأنصاره وذلك في أوائل ربيع الأول سنة (١٢١٩ هـ) .

وكان دوران رحى هذه المعركة المشهورة في مكان يقال له « فرطاسة » يقع بين « مينا » و « واد العبد » ، وقد انتصر - في هذه المعركة - ابن الشريف الدرقاوى وأنصاره انتصاراً عظيماً ، فقتل عدد كبير من جنود الباي مصطفى . ومن بين هؤلاء القتلى ، كاتياها الحاج أحمد بن هطال وأبو عبد الله محمد الغزلاوى .

وفي نفس المعركة ، يقول حسن خوجة التركي - في تأليفه « در الأعيان » :

« فرطاسة » يومها ترى الجنود به ما بين قتلى وأسرى غير ناجين
فالباي جاء بجيش لا نفاذ له به يريد لقا العدو باغيناً
فلم يحقق له سعى ولا أمل بل جاء جنده صفر الكف باكيناً
فالיום لابن الشريف عز فيه على باي الأعاجم لولا الدين لا ديناً^(١)

هذا ما أمكننا أن تأتى به من حياة ابن هطال ، بعد أن بذلنا جهداً كبيراً في الاستقصاء عن أخباره في مظان المصادر التي بين أيدينا ، ولعل الله ينسأ في أجلنا ، ويتيح لنا الفرصة حتى نستكشف في المستقبل ما غاب عن أعيننا في الوقت الحاضر ، و « لكل أجل كتاب »^(٢) .

(١) هذه الأبيات على وزن البحر البسيط ، مخبونة العروض ، مقطوعة الضرب .

(٢) لكل أجل كتاب : سورة « الرعد » ، الآية : ٣٨

أبى محمد الكبير

التعريف به

اسمه : محمد بن عثمان الكردي .

كنيته : أبو عثمان ، أبو علي ، أبو محمد ، أبو أحمد ، أبو الفتوحات ،
أبو النصر ، أبو المواهب ، أبو الربيع ، أبو الفتح .

لقبه : الكبير^(١) ، الأكل^(٢) ، المجاهد المنصور .

أمه : جارية ، اسمها زائدة ، أهداها لأبيه مولاى اسماعيل سلطان المغرب
الأقصى ، لمودة كانت بينهما . وأما أخوه محمد الرقيق (بو كابوس) فأمه حرة ،
اسمها خديجة وأبوها من أشراف (المدينة) يقال له : محمد بن عيسى اللمداني .

أبوه : أبو إسحاق الحاج عثمان بن إبراهيم الكردي ، كان خليفة على
مليانة ، ثم ارتقى فأصبح بابا على تيطرى وأحوازاها . وكان بابى تيطرى محترما
لدى الأتراك ، ومعتبرا عند باشواتهم ومفضلا على سائر البايات . وذلك لأن
تيطرى أول ناحية خضعت للأتراك بعد مدينة الجزائر .

وتوفي عثمان بمدينة « معسكر » ودفن بها سنة (١١٧٠ هـ) بعد ما مكث
في الحكم تسعة أعوام^(٣) .

دور محمد الكبير في الحكم

كان أبوه عثمان الكردي - مرتبطا بعري الصداقة مع أبى إسحاق إبراهيم

(١) لقبه بالكبير حسن اكراما له عندما فتح مدينة وهران .

(٢) كان يلقب بالأكل منذ صغره ، وذلك لسمرته .

(٣) ويقول فورفوس . إنه قتل على يد أولاد نايل في غزوة قام بها ضدهم عندما خرجوا

عن طاعة الأتراك أنظر (المجلة الأفريقية) لسنة ١٨٥٧ ، ص ٤٠٥

الملياني ، وكان هذا الأخير قائدا على « مليانة » ، ولما توفي الباي عثمان تسكحل ابراهيم بعائلته واعتنى بولديه : محمد الكبير ، ومحمد الرقيق (بوكابوس) .
ولما توسم ابراهيم في محمد الكبير نشاطا متزايدا وشجاعة صادقة وذكاء حادا ، أحب أن يوطد العلاقات بينه وبينهما ، فأصهر إليه ، وزوجه بابنته ، ولما ارتقى ابراهيم وين عن الإيالة الغربية ^(١) أخذ معه صهره محمدا الكبير وعينه قائدا على « قليته » سنة (١١٧٨ هـ) ، وكانت مرتبة هذا القائد لها الأولوية في الإيالة الغربية ، كما أن مرتبة قائد « مليانة » لها الأولوية — أيضا — في الإيالة الجزائرية ، ولما وجد ابراهيم باي محمدا الكبير قد قام بواجبه أحسن القيام ، وأظهر براعته في الحكم ، من إصابة التفكير ، وحسن التسيير : عينه خليفه له سنة (١١٨٢ هـ) وبعد مدة قليلة أشركه في جميع حكومته ، ومنحه إدارة جميع الناحية الشرقية من الإيالة الغربية .

وفي سنة (١١٨٩ هـ) تحرك الأسبان لغزو الجزائر بأسطول عظيم تحت قيادة « الارلادى أوريلي » فشارك محمد الكبير في الدفاع عن الجزائر بجيشه الباسل ، وأبدى — أبان المعركة — شجاعة عديمة النظير ، وأذاق الجيوش الأسبانية مرارة الحمام ، فشكروه الداى (محمد عثمان باشا) شكرا جزيلا ، وأثنى عليه الناس أجمعون .

وفي أوائل هذه السنة ، توفي ابراهيم باي ^(٢) فطلبت الرعية من الداى أن

(١) كان مقر الباي للإيالة الغربية — لبان احتلال الأسبان لمدينة وهران — يتنقل من مستغانم ، إلى مازونة ، إلى قلعة بنى راشد ، ثم معسكر ، ولما فتحت وهران للمرة الأولى وغادرها الأسبان ، انتقل إليها مقر الباي مصطفى أبى الشلاغم ، ولما استرجعها الأسبان ، نقل مقره إلى مدينة مستغانم ، ثم فتحها الباي محمد الكبير ، ونقل إليها مقر الأيالة نهائيا .

(٢) وقع اختلاف كبير في تاريخ تولية الحاج خليل بين المؤرخين ، وقد اعتمدنا على (النفر بالجاني) لآحمد بن سحنون .

يعين مكانه محمدا الكبير بايا على الإيالة الغربية . وكاد الداي ينفذ رغبة الرعية ، لولا تعرض أحد الأغنياء — اسمه الحاج خليل — لابتياح هذا المنصب من الداي بثمان باهظ وضع في خزانة مال الدولة حسبا جرت به العادة آنذاك ، وهكذا بقي محمد الكبير يشغل منصب خليفة ، مترقبا فرصة متاحة فيرتقى إلى مرتبة باي .

وفي سنة (١١٩٢ هـ)^(١) اجتمعت الطائفة الدرقاوية من جديد بموضع يقال له « عين الحوت » قرب « تيموشنت » وقررت الخروج عن دولة الأتراك ، فنهض إليهم الحاج خليل باي الإيالة الغربية ، وفي أثناء سيره إليهم حدثت عاصفة شديدة شنت شمل عسكره . وخجاة توفي الباي دون أن يعرف سبب لوفاته ، فاستجاب الداي لرغبة الرعية ، وعين محمدا الكبير بايا على الإيالة الغربية ، فقتضى على الثورة الدرقاوية وغيرها .

وبمجرد جلوسه على كرسى الحكم تعيينه بايا ، شرع في إصلاح شؤون الرعية ، والسهر على مصالح العباد وتنظيم البلاد ، فراح ينشر الأمن ويؤلف بين قلوب الناس ، وبادر باخضاع القبائل المتمردة على الحكم التركي ، مثل قبيلة « أولاد علي بن طاحنة » وقبيلة « الحشم » وقبائل « فليقة » و « حميان » و « عمور » وجميع قبائل « بني راشد » . وبعض القبائل كانت مقيمة على الحدود المغربية تحترف الاصوصية وقطع الطريق على المسافرين ، فانتصر على الجميع وأخضعهم للحكم التركي وملأ خزائنه بما أدوا له من الضرائب ، كما أدخل بعضهم في « الخزن »^(٢) فاصبحوا له منقادين ، ولحكومته مخلصين . وأهم غزواته

(١) اعتمدنا في هذا التاريخ على كتاب (سعد السمود) للزاري ، مخطوط بخزانتنا .

(٢) هم العرب الجزائريون المواليون للدولة التركية ، والمويدون لسياستها .

التي قام بها داخل البلاد ، هي غزوة الجنوب الصحراوي الجزائري التي جهز لها جيشاً عرمرما ، ونزح به من « معسكر » ماراً بـ « جبل عمر » و « البيضاء » و « أفلو » و « الطويلة » إلى أن وصل مدينة « الأغواط » حيث دخلها بقوة هائلة ، ونشاط متزايد ، فانتقاد لجميع القبائل التي بضواحيها ، بما فيها « مزاب » ، واعترفوا كلهم بدولة الأتراك في القطر الجزائري ، ورضوا أن يؤدوا لها الضرائب السنوية عن طيب نفس .

وقد وقعت هذه الغزوة (سنة ١١٩٩ هـ) وهي التي حققناها ، ونحن بصدد التقديم لها

ثم أخذ الباي يتبها لفتح مدينة وهران واسترجاعها من الإسبانيين بعد ما أخذوها قهراً من الزيانيين .

مدة مكث الإسبان بوهران

في مستهل ربيع الثاني سنة (٩١١ هـ) سقط برج المرسى الكبير في أيدي الإسبانين ، وفي آخر المحرم من سنة (٩١٤ هـ) تم الاستيلاء على مدينة وهران بأكملها ، وفي صبيحة يوم الجمعة من السادس والعشرين من شهر شوال سنة (١١١٩ هـ) فتحها مصطفى أبو الشلاثم باي الأيالة الغربية على عهد محمد « بكداش » باشا الجزائر بعد ما مكث بها الإسبان مائة عام وخمس سنوات . وقد أشار المحافظ أبو عبد الله محمد التميمي في رجزه إلى تاريخ دخول الإسبان وخروجهم من وهران ومدة مكثهم بها ، إذ يقول :

ياسائلا عما بوهران ظهر	من أخذها وفتحها كما انتشر
أخذها الكفار بالثبات	فيما رويناه عن الثقات
سنة أربع وعشرة مضت	من بعد تسعمائة قد كملت

فماتان مع خمسة سنين عدة مكثها بأيدي الكافرين
ثم بدا العزم من الإله وجاءنا الفتح ونصر الله
ففتحت سنه تسعة عشر ومائة بعد ألف تعتبر
في سادس العشرين من شوال صبيحة العشرين خذ مقالي
عن يد من قد صير الجزائر جنة كل قاطن وزائر
محمد « بكداش » فخر للدولة وحسن صهره على الصولة
ثم استردها الإسبان قهراً سنة (١١٤٣ هـ) بعدما مكث المسلمون بها
أربعاً وعشرين سنة ، وإلى هذا التاريخ يشير محمد أبو راس العسكري في سينيته :
من بعد عشر وعشر ثم أربعة عادوا إليها فقرت أعين النعس

استعداد محمد الكبير لفتح وهران

وفي فاتح صفر سنة (١٢٠٥ هـ) قرر محمد الكبير أن يسترد مدينة وهران
من الاسبانيين ، وأرسل إلى الداى يشاوره فى الأمر ، فأذن له الداى (محمد
عثمان باشا) فى ذلك ، فنادى الباي فى الناس حى على الجهاد ! وأرسل إلى جميع
نواحي « معسكر » رساله ليخبروا رعيته بما عزم عليه وصمم فى تنفيذه ، فأتته
الناس زرافات ووحدانا ، واجتمع لديه جمع غفير من أهل كل ناحية من نواحي
الإيالة الغربية فى مدة أسبوع منذ انطلاق الخبر ، فجعل أهل تلمسان ، وقلية
وما جاورها من القبائل تحت قيادة ابنه عثمان ، وتسكفل بقيادة أهل مازونة
ومستغانم ، وقلعة بنى راشد ، وقبائل نواحي الشرق محمد بن ابراهيم (صهر الباي) .
وجعل القسم الأكبر تحت قيادته ، ثم اتفق مع علماء « معسكر » وضواحيها
أن يجمع الطلبة والمدرسين وقراء القرآن بقصد الرباط بـ « جبل المائدة » على مقربة
من مدينة وهران ليثبطوا همة الاسبانيين ويحولوا بينهم وبين ما يأتهم من الخارج

من أسلحة ومؤن ، وكان عدد الطلبة يزيد على خمسمائة طالب ، يرأسهم محمد بن المولود الفريسي ، وكان الاستاذ محمد بن عبد الله الجلالى والاستاذ الطاهر بن حواء قاضى « معسكر » قد كلفهما الباي باعطاء الدروس للطلبة أثناء الرباط كما أمر عليهم محمد بن عبد الله الجلالى أيضا ، ثم أمر بإنشاء ثلاث طواحين بـ « مسرقين » — خاصة بطلبة جبل المائدة ، وسهل لهم جميع ما يحتاجون اليه ، ومنع إنشاء المدارس فى الايالة ماعدا جبل المائدة ، فإنه قد رخص فى إنشائها هناك ، وأمر مناديا ينادى فى الناس : أن كل من سكن جبل المائدة يعفى من دفع الضريبة . وإلى المرابطين بجبل المائدة (افرى) يشير أحمد بن سحنون فى أرجوزته « الثغر الجمانى » إذ يقول :

فكم بنى فى الثغر من أشراك لأهل وهران ذوى الإشراك
وقرر المرابطين فيه مرتبا للكل ما يكفيه
وهي إذ ذاك بلاد كفر لم يحظ من يتصدها بالظفر
.....
.....

ورتب المرابطين فى الجبل من كل حبر عن هوى الموت جبل
وكل مقدم هام وبطل منذ بدا بادی الضلال وبطل
مؤمرا لشيخنا الجلالى محمد الاحق بالاجلال

وراح الباي يعزز قواه بشراء الاسلحة من مختلف الأقطار ، فاشترى من الانجليز بجبل طارق عددا من المدافع ، وكمية كبيرة من البارود والرصاص ، واكثرى سفنا من الإفرنج ليحملها بعد ما ضمن لها الأمان والنجاة عبر البحر ، ثم بعث أحمد بن هطال مع قاضى الحملة إلى المغرب الاقصى ليشتريا سلاحا

من هناك ، وبعثت له قبائل ازوا كمية كبيرة من البارود الذى كانوا يصنعونه فى جبالهم ، ثم أمر بصنع العربات لجر المدافع ، وعبد لها الطرق التى بين مسعكر وهران وأطلق سراح جميع المساجين ليكُونُوا عوناً له على ما هو عازم عليه . وفى اثناء استعداد محمد الكبير للهجوم على مدينة وهران ، إذ بزلزلة تحرك المدينة من أقصاها ، فهدم معظم بنيانها ، ولقى عدد كبير من السكان حتفهم . وامتد تيار هذه الزلازل إلى مدينة مسعكر ، إلا أنها لم تصب إلا بخسارة طفيفة جداً . وكانت زلزلة وهران حافزاً لستعمجاليا لمحمد الكبير ، فتحرك من مدينة مسعكر يوم الخميس فى الثالث عشر من شهر صفر سنة (١٣٠٥ هـ) بخمسة آلاف مقاتل متوجها إلى مدينة وهران بقصد فتحها .

وبعد هجومات متوالية على أسوار المدينة ، قام بها جيش الباي فى غضون أسبوعين : قرر الباي أن يبقى جيشه هناك محاصراً للبلاد بالغاً منتهاه فى الدقة والتنظيم ، حتى لا يتسرب للمدينة من الخارج أى شئ من المؤونة أو العتاد .

وفى أثناء هذا الحصار ، توفى داي الجزائر محمد عثمان باشا فخاه حسن الخرناجى الذى كان قد تبناه الداى ، ومنذ ذلك الحين أعطى لقب « باشا » . وقد دام هذا الحصار إلى أول محرم سنة (١٢٠٦) حيث رفع بسبب إبرام اتفاق صلح بين داي الجزائر و ساطان الأسبان ، ويتضمن الشروط التالية :

(١) يسمح للأسبان أن يبنى مؤسسة قرب « مرسى الكبير » بشرط أن يدفع — فى مقابل ذلك — مائة وعشرين ألفاً من الفرنكات (بالصرف الفرنسى) للدولة التركية الجزائرية .

(ب) يسمح للأسبان بالنقاط المرجان من شواطئ الجزائر الغربية .

(ح) يسمح للأسبان بشراء ألف شحنة من البر (القمح) الجزائرى .

(س) يسمح للأسبان — دون غيرهم من سائر الدول الافرنجية — بارساء أجفانهم بـ « المرسى الكبير » شريطة أن يدفعوا للدولة التركية الجزائرية ثلاثًا وستين فرنكا .

(هـ) تسلم مدينة وهران إلى الدولة التركية الجزائرية بجميع ما فيها من سلاح وما عليها من بناء مثلما كانت عليه يوم خروج مصطفى أبى الشلاغم سنة (١١٤٣ هـ) .

(و) إخلاء مدينة وهران من جميع الجنود الإسبانيين في فترة لا تتجاوز ستة أشهر من يوم تمخير عقد الصلح .

وجاء في كتاب « طلوع سعد السعود .. » : « . . ودام حصاره لها بالقتل الصادر منه ، ومن جنوده وشدة صواعقه ومدافعه وكوره وباروده ، إلى أن فتحتها في أوائل الحرم سنة ست من القرن الثالث عشر بقتاله الذريع . ودخلها في اليوم الخامس من رجب الفرد ضحى يوم الاثنين من سنته في فصل الربيع ، وقد أقام النصارى بها في هذه المدة الثانية . . . ثلاثًا وستين سنة ، وفي الأولى خمسًا ومائتي سنة . . . واختلف في كيفية فتحها على ثلاثة أقوال ، فقال بعضهم : إن الأمير فتحها عنوة ، ودخلها بعد الزوال . وقال آخر : إنها فتحت بشدة الزلازل الحالة بها في كل حين ، ففر منها النصارى دون علم من المسلمين ، ولما ذهب لها الطلبة ليلا للاختلاس والتجسس ، لم يجدوا أحدا عند أبوابها ، ولا بها حس ولا حسيس ، فتسوروا عليها من جهة رأس العين ؛ ودخلوها فوجدوها خاوية على عروشها ، ثم جالوها ، فرق أحدهم المنارة ، ورفع صوته بالأذان ، وكان جهر الصوت ذا تطريب وألحان ، فسمع المسلمون ذلك وتحققوا من الطلبة بأنفامهم ، فأتوها والأمير المؤيد بالنصر أمامهم ، فأنقوا الطلبة مقبلين

على تلاوة القرآن ، فدخلها الأمير - رحمه الله - في أمن وأمان .
وقال الحافظ أبو راس : « إن أمير المؤمنين السيد محمد بن عثمان باى الإيالة
الغربية وتلمسان لما ضايق وهران أشد التضيق ، سأل منه النصارى السلم والتوثيق
ورادوده عليه ، فأعطاهم الأمان على أمتعتهم وأنفسهم من غير امتنان ؛ فذهبوا
منها وتركوا كل ما فيها للأمير فأخذه منهم بالقيمة ، وقيل تركوها خاوية والأول
منها هو الصحيح » (١) .

وبعد فتحه لوهران ، توجه إلى الجزائر حيث استقبله الداى حسين باشا
استقبالا عظيما ومنحه « ريشة الانتصار » . ثم عينه بايا على مدينة وهران وجميع
الإيالة الغربية بما فيها تلمسان وتيطرى . وعين ابنه عثمان خليفة له على ضواحي
العرب ، كما عين ابنه محمداً قائداً على قبائل « فليته » . وقبل أن ينتقل الباي
إلى وهران ليتخذها سكناً ، جمع العلماء ليستشيرهم فى شأن سكان وهران
الذين كانوا أعواناً للأسيان وحرباً على المسلمين فاتفق الجميع على أن يسمح لهم
ما فرط منهم ويؤمنهم ، فأرسل إليهم فى الحين القاضى عبد الله بن حواء ،
وسى أحمد بن سحنون الكاتب بالجامع الكبير ، وسى محمد بن فريجة ؛
فأمنوهم وعادوا مصحوبين بأربعين شخصاً من سكان مدينة وهران كمثاليين
لإخوانهم هناك .

فاستقبلهم الباي استقبالا حسنا ، وعفا عنهم وصفح عن جميع ذلتهم ، ثم
انتقل بأهله وحاشيته إلى مدينة وهران حيث اتخذها سكناً ومستقراً إلى أن وافاه
الله أجله ببلدة « صبيح » سنة (١٢١٣) وهو فى طريقه إلى مدينة الجزائر ، وقد
دام حكمه عشرين سنة بايا مستقلاً ، وسبعة أعوام خليفة مفوضاً ، فرحم الله

(١) « طلوع سعد السعود فى أخبار وهران » مخطوطة بخزانتنا .

البابى محمداً الكبير رحمة واسعة ، وأسكنه جوار الشهداء الأبرار والصلحاء .
الأخير .. (١)

أعماله وإنجازاته

لم يسمح لنا الوقت باستقصاء جل ما صنعه هذا البابى البار من حسنات
شهدت بها أعداؤه فى الدنيا والدين ، ولعل ذلك كله نتركه لدراسة ستخصصها
لشخصية هذا البابى العظيم .

أما فى هذه المقدمة ، فسنكتفى باقتطاف أقل من القليل من تلك
الأعمال الخيرة .

(١) اعتناؤه بالفقراء والمساكين

طرد الحاجة باختزان الحبوب وقت حصادها وتفريقها على المحتاجين عند
الحاجة ، وكان طباًخو قصره بـ « معسكر » رهن إشارة الفقراء والجائعين
وكان يوزع بنفسه الألبسة على العراة من الرعية ، لا سيما وقت الشتاء .

وكان يداوى بنفسه المرضى الفقراء ويعالجهم ويتألم لوجعهم ، وكان يوزع
الأموال على الفقراء والطلبة والقائمين على خدمة المساجد فى كل مناسبة عيد .
أو موسم ، أو فرح ، وكان يبعث فى كل سنة بهدايا ثمينة إلى الحرمين الشريفين
(مكة والمدينة) مصحوبة بعبد خصى لخدمة مسجد المدينة المنورة .

(ب) حرصه على الثقافة والمثقفين .

لقد كان يعنى بالثقافة ويحب المثقفين ، لذلك بنى المدارس للطلبة ووفر لهم
المؤن ، وهياً لهم الوسائل التى تساعد على المضى فى طلب العلم واكتناز المعرفة

(١) دفن البابى محمد الكبير « بمدرسة خنق النطاح » فى مدينة وهران . وفى أوائل الاحتلال
أخذ جنود فرنسا مكان هذه المدرسة حكاماً يستعمون فيه . ولهذا السبب طمس قبر محمد الكبير
وعمه ، ولم يعرف بالضبط مضجعه الكريم حتى الآن . وتعرف هذه المدرسة — فى
وقتنا الحاضر — بـ « جامع البابى »

جاء في « سعد السعود .. » : « .. وكان يحب الطلبة ، ولذلك بنى لهم المدرستين : الأولى بـ « المعسكر » والثانية بـ « وهران » . حكى أنه لما رفعت له الشكاية من أهل وهران بالطلبة ، وتكررت عليه ، أمر بإخراجهم من وهران لينظر في ذلك ، فخرج الطلبة منها وانصرفوا بكلهم عنها ، وهو ينظر إليهم من محله ، وقلبه متحير في الأمر بكاه ، فلم ير من لحقهم ورأى النساء درجن على الأسطح ، وأعينهم شاخصات نحوهم ، أسفاً عليهم ، وفي غم من أهل الصلاح ، فجاء آغته السيد قدور الكبير بن اسماعيل البعثاوى ، وقال له : ياسيدى لا يليق بك ولا بنا طرد الطلبة ، الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ، ويتلون كتابه العزيز ، وإنما الأليق أن من فعل ذنباً يستحق به العقاب عوقب ، ومن لا ، فلا . والذين اشتكوا لك بهم بأنهم أهل افتيات ، عليهم بحفظ أنفسهم وأهلهم مما ادعوه عليهم بغير إثبات . فقبل منه هذا الكلام ، وفرح به كثيراً وأمر بردهم لمحلهم ، فرجعوا بعد أن خرجوا منه ولما استقروا بمواضعهم ، واشتغلوا بمصانعهم ، ذهب إليهم على فرسه بشواشه ، متبخرراً في سيره ، وحين وصل إلى محلهم ، دفع لهم مالا كثيراً زيادة بقصد التبرك بهم . وقال لهم : أيها الطلبة اشتغلوا بالقراءة وكفوا أنفسكم عن الأذى ؛ فما في المدينة من يحبكم ، إلا ثلاثة في المحبة سواء : وهم : أنا ، وآغة قدور بن اسماعيل البعثاوى ، والنساء . انتهى النص .

وكان يعظم العلماء ، فشيدهم المساجد ورتب لهم مرتبات زيادة على المنح والهدايا التي يفاجئهم بها بمناسبة الأعياد والأفراح ؛ وما يمت إلى أمثال ذلك . ويكفينا دليلاً ما ألفه علماء عصره من كتب نفيسة في أخلاقه المرضية ، وسيرته الحمودة ، مثل كتاب « عجائب الأسفار » لمحمد أبى راس المعسكرى .
(٢)

وكتاب « الثغر الجاني .. » لأحمد بن علي بن سحنون ؛ وكتاب « الرحلة القمرية في الأخبار الحمديدية » لمصطفى بن عبد الله بن زرقة ، وغير ذلك من التأليف التي تدل على إحسانه المستمر لمن أنفها ويده الطولى على من صنفها . وكان يجمع العلماء ويشاورهم فى الأمر وينزل عند رغبتهم .

أما الشعراء ، فقد كان يجازيهم أحسن الجزاء ويجزل لهم العطاء ، ولندكر من ذلك على سبيل المثال ، أنه أهدى إلى الحاج أحمد القروى مائة محبوب ذهباً ، وأعطاه ألبسة تساوى خمسين محبوباً عندما مدحه بقصيدتين ، أولاهما فى تشييده للمسجد الكبير بمدينة معسكر ، وثانيتهما بمناسبة فتحه مدينة الأغواط ، وأحوازاها . وقد ذكر ابن هزال كلنا القصيدتين برمتهم فى الرحلة التى نحن بصدد التقديم لها ، وكان يشجع الأدباء والكتاب بصفة عامة ، فقد منح أحمد بن سحنون مائة دينار ذهباً عندما اختصر كتاب « الاغانى » لأبى فرج الأصبهاني . ومنحه أيضاً خمسين ديناراً ذهباً جزاء عمل قام به ، وهو انتخاب ألفاظ طيبة من القواميس ، ومن أجل هذا كانت تتهاطل عليه المدائح الشعرية والنثرية ، فىأتى أصحابها اليه خصاصاً ويرجعون بطاناً .

ومن يتصفح الكتب التى ألفت فى سيرته ، يجدها زاخرة بالقصائد الشعرية ، والأسجاع النثرية . ولم يكن محمد الكبير يتقبل الإنتاج الأدبى أو العلمى من المتقربين به إليه فحسب ؛ بل كان يبحث على هذا الإنتاج ، ويقترح مواضع تناسب الظروف ، وتعود على الوطن وأهله بالخير العميم ، فقد كاف - أثناء غزوة وهران - رئيس الطلبة مصطفى بن عبد الله أن يجمع له الأحاديث الواردة فى الجهاد . ولم يترك هذا البار فرصة تفوته فى نشر الثقافة وإنماء الأفكار .

وكان يملك مكتبة ضخمة ، تحتوى على مختارات من شتى المخطوطات ،

وكان لا يكتفى بالخطوطة الواحدة في خزائنه ، بل يأمر بنسخ عدة منها لتكون في متناول أيدي جميع المثقفين ، وكان يبذل الأموال الطائلة في الخطوط النفيسة ، فيشتريها ويضعها في خزانة القصر أو يحبسها على طلبة المدارس وعلماء المساجد ، وكان يبحث عن العلماء حينما كانوا ، وبتقصي آثار المثقفين أنى بانوا .

وكان مولعا بالمطالعة وقت فراغه في شؤون الرعية ، وكان فقيها أديبا مطالعا على تاريخ العرب وأيامهم ، وكانت معرفته بالطب واسعة — على حد تعبير صاحب النفر الجاني — وكان مغرما بمعالجة المساكين والفقراء اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم — حينما كان يعالج أصحابه رضى الله عنهم .

وكان يأمر بإحضار الأدوية بقصره لتوزع على الفقراء والمساكين مجانا تحت إشرافه .

(ج) اعتناؤه بالتشييد والبناء :

جدد بناء مدرستين بتمسان وأرجع اليهما رونقهما ، وأعاد لهما حبسهما القديم ، وزاد عليه ، فأخذت المدرستان تستعيدان قوتهما العلمية من حيث الدراسات الدينية والأدبية بعدما فقدتاها مدة طويلة .

وبنى في الجزائر العاصمة دارا جميلة وأنشأ ثم سلمها لوكلائه وممثليه هناك . وبنى في مستغانم قصرا جميلا ، كما شيد القصر الأنيق في مدينة « معسكر » — أيضا — وجعله منزلا جميلا جدا تحوط به حديقة غناء ، وأنشأ السوق العتيق بـ « معسكر » ، وألحق الفندق الجديد — الذى بناه هو أيضا — بحبس الجامع الكبير ، ونقل الماء بالآقنوات إلى المدينة الجديدة بـ « معسكر » وقرية سيد على بن محمد . وأنشأ مقبرة لشاهير شخصيات معسكر . ووسع جامع السوق بمعسكر ، وزاد فيه رواقين من الأمام ، وجدد الجامع العتيق ، ووسع ساحته

وجلب اليه المياه ، وبني خمسة أحواض للوضوء . واستبدل منبره بمنبر أحسن من ذى قبل . ثم شيد المسجد الذى يحمل اسمه : « جامع محمد الكبير » . وقد نال هذا المسجد إعجابا كبيرا من الجمهور ، فراح الشعراء يتغنون به ويرنمون بزخارف جماله وينشدون قصائدهم الرنانة فيه :

ألق العصا وفك رحل ركائبى بالمسجد المنشى بام عسكر
الحكم التشييد فى شرفاته فتراه يحسن كالرياض الممطر^(١)

وحفر فى وسط المسجد (جامع محمد الكبير) بئراً وطواها ليغترف الماء العذب منها ويوزع على أحواض المسجد . ثم اشترى أرضاً تنز بينابيع الماء ثم أوصله فى قنوات إلى أحواض المسجد الستة عشر . وبني مدرسة كبيرة وألحقها بذلك المسجد ، ثم حبس عدداً كبيراً من أسفار الكتب على طلبة تلك المدرسة وأساتذتها ، وأنشأ حماماً (حمام الأدهم) حول ذلك المسجد وحبسه على المدرسة والمسجد ؛ زيادة على مخبزة ودكاكين وأجنحة ، وكل مرافق الحياة التى كانت مجعولة لاحتياج الطلبة والأساتذة ، وجميع موظفى المسجد والمدرسة . وكان موظفو ذلك المسجد يتألفون من خطيب للجمعة وإمام للصلوات الخمس وأربعة مؤذنين وسماع وأربعة أساتذة ومقدم للطلبة . وصنع مشهداً لسيدى أحمد بن يوسف دفين مليانة ، كما صنع مشهداً آخر لسيدى محمد بن عودة (بن خدة) . وبني قناطر وجسورا ، وعبد الطرقات ، وحصن أسوار معسكر . وبني فى أوائل السنة التى فتح فيها وهران بالموضع الذى وقف فيه حصانه مسجداً للصلوات الخمس والجمعة ، ويعرف هذا المسجد عند سكان وهران بـ « جامع بناصف » لكونه كان به وكيلا . ثم بنى فى السنة التى تليها (١٢٠٧ هـ)

(١) انظر القصيدة بأكملها فى الرحلة التى نحن بصدد التقديم لها ، ص :

قلعة « البرج الأحمر » ^(١). وبني مدرسة « بخنق النطاح » التي بها ضريحه . وشيد الجامع الأعظم المعروف بـ « جامع الباشا » ، لأنه أمر ببنائه حسن باشا ، كما تكفل بمصاريف بنائه أيضا .

مكانته بين رؤساء الدول

كانت علاقاته مع رؤساء الدول الإسلامية حسنة جدا ، فقد كان يتهادى معهم الهدايا مرارا ، ويفيث من استنجد به لاسيا رؤساء الأقطار الثلاثة : مصر ، وتونس ، والمغرب . فقد لجأ إلى مدينة معسكر عبد الرحمن ولى العهد ابن مولاي محمد سلطان المغرب ، فرحب به محمد الكبير ، واحتفل بمقدمه احتفالا عظيما ، وبعد مدة مر بمدينة معسكر مولاي يزيد أخو عبد الرحمن السابق قاصدا بيت الله الحرام ، فاستقبله الباي محمد الكبير استقبالا حارا ، وجعل تحت تصرفه « قصر البستان » بما فيه ومن به . وبعد وفاة مولاي محمد خلفه ابنه يزيد المذكور فتنكر لسيرة أبيه وأخذ ينكل بحاشيته ، فنهزم من قتل ومنهم من نفى ، ومن بين أولئك المنفيين إحدى الشخصيات المعتبرة يقال لصاحبها ابن حدة الذي توجه صوب مدينة معسكر حيث وجد من الباي محمد الكبير أكبر معين وأحسن رفيق ، فاستقبله استقبالا حسنا ووفر له

(١) جاء في وطلوع سعد السعود . . : « ثم هذا الباي .. أمر ، بألغام من الله تعالى في اليوم الحادى والعشرين من فتحه لوهران — بهدم الأبراج الموالية للبر ، وهى : برج مرجاجو ، وبرج رأس العين الكبير والصغير ، وبرج الوزير ، وبرج فرناند ، وبرج كارلوص وأشباهاها من الأبراج الموالية للبر . . . »
وغرضه بذلك رفع الضرر عن المسلمين ، حسما لمادة النصارى ، فإن الباي أبا الشلاغم لما فتنحها أولا ترك الأبراج بلا هدم ، ولما رجع لها النصارى كان أول ضرر حصل للمسلمين من تلك الأبراج ، فلذلك أمر — رحمه الله — بهدمها .

كل ما يحتاج إليه من مؤونة وجوار وخدام وهم جرا . .

وقد اختلف — كذلك — أحد خلف باى تيطرى مع رئيسه فالتجأ إلى مدينة معسكر فوجد في الباي الكبير رغبته المنشودة، إذ استجاب له وهون عليه ، ثم عينه خليفة على ضواحي معسكر . وكذلك فر حسن باشا ابن باى قسنطينة إلى مدينة تلمسان فوقف الباي محمد الكبير بجانبه وأعانه في كل ما يحتاج اليه وتوسط لإلحاق عائلته به . ولسنا بمبالغين إذا قلنا : بأن هذا الباي كان قبلة للمستغيثين وكعبة للمستنجدين ، يأخذ بيد الضعفاء والمساكين ويقتل عثرات من أطاح بهم الدهر الغدار ، وكان حسن باشا يعظم هذا الباي ويعترف له بشجاعته ونبله وفطنته ، ويقدمه على جميع بايات القطر ، رغم حساد قد كانوا يشنون به إلى الباشا . وكان بايا قسنطينة وتيطرى يعتبران من أصدقائه الخالص . وكذلك كان باى تونس ، وسultan المغرب في محبتهما له وصداقتهما سواء . ولعل ذلك ناتج عن كرمه السيل ، فقد حدثنا صاحب « الثغر الجاني » بأن هذا الباي كان يأتى إلى الجزائر مرة في كل ثلاث سنوات لدفع الضريبة (الدنوش) الجمولة على الإيالة الغربية ، وكان شعب مدينة الجزائر ينتظر بفارغ الصبر وقت قدوم هذا الباي الكريم . وكان مجموع ما يفعه لبيت المال — دون الهدايا والتبرعات — مائة ألف سلطاني ذهباً ، ومثلها يوزعها على الشعب . هذا زيادة على ما يدفعه من قطع الحيوانات ، وكمية الحبوب والأقوات ، وعدد من العبيد والخيول المسومة ، التي يهديها إلى ذوى الوظائف السامية ، وكان يعطى مالا كثيرا لخدام المساجد ، وبمجرد وصوله إلى مدينة الجزائر يعم الفرح جميع البلاد . وكان يوم دخوله إلى الجزائر يعد يوم عيد للفقراء والمساكين .

أوصافه الحسية وأخلاقه المعنوية

كان أسمى اللون ممتلئ الجسم ، مربع القد ، لا بالطويل ولا بالقصير ، وكان شجاعاً نبيلاً ، وفاضلاً كريماً سريع الغضب والرضى ، كثير الحلم والعلم ، قوى العزم ، والحزم ، محباً للسفر في أنحاء إبلاته ، وكان فارساً كبيراً ، لهذا كان كثيراً ما يعتنى بتربية الخيل العتاق ، فكان يوجد باصطبله أنواع مختلفة من الخيول ، وقد أمر ببذل الجهود في الاعتناء بها والحفاظ على نسلها ، وكان صياداً ماهراً ، لذلك نجده مولعاً بتربية البيزان والصقور ، قال ابن هطال في الرحلة « وقد اجتمع عنده ^(١) من الطيور الحسان المختلفة الأشكال والألوان ما لم يجتمع عند غيره من الملوك ، فكانت ترد عليه من كل مكان فيقبلها ويحازي عليها الجزاء الكثير ، الذي أوجب جلبها ، فلما كثرت عنده صار يختار العوارم ويقدمها ويفضلها على غيرها » . ^(٢)

وقبل أن أضع نقطة النهاية لهذا التقديم ، أود أن أنبه القراء إلى شيء واحد طالما تناسيناه مع أنه يجب الاعتناء به ، والتضحية بالوقت الثمين في البحث عنه ، ذلك هو التراث الوطني مهما كانت قيمته العلمية ، وكيفما كان شكله ومبناه ، فللأثمار أشجار ، وللأفروع أصول ، وللشعوب أجناس ، وللأجداد تاريخ ، وعلينا نحن الأحفاد إبرازه للعيان ليبقى عبر الأجيال ، فإن كان خيراً اقتنيناه واقتصرنا به ، وإن كان شراً عرفنا أسبابه ، ولسنا بمسؤولين عنه .

محمد بن عبد الكريم

(١) عنده : الضمير يعود على الباي محمد الكبير .

(٢) رحلة الباي محمد إلى الجنوب ، ص .

ملاحظة هامة

النسخ المعتمدة في تاريخ الرسالة

أولاهما : مخطوطة خاصة توجد بمخزانتنا ذات حجم صغير مربع ، خطها مغربي صمغى واضح لونه أسود ، أوراقها بيضاء ، في كل صفحة منها ٢١ سطرا . وهذه النسخة مجهولة الكاتب ، ويبدو أن ناسخها قد تصرف فيها ، ولم يراع أمانة النص . ولهذا تسكرت فيها الاسجاع الركيكة التي تقل في النسختين التاليتين - نسبيا - ، وقد رمزنا لها بحرفي (نخ) أى نسخة خاصة .

ثانيتها : مخطوطة بالمكتبة الوطنية (بالجزائر العاصمة) تحت رقم ١٦٤٣ ، وهى - كذلك - ذات حجم مربع صغير ، خطها مغربي صمغى واضح جيد ، لونه أسود احمر ازرق ، أوراقها بيضاء مشوبة بخضرة ، في كل صفحة منها ١٧ سطرا . وهذه النسخة فرغ من نقلها محمد بن البشير « آقراى » التلمسانى في ٢٢ ذى القعدة سنة ١٢٠٢ هـ . وقد رمزنا لها بحرفي (نج) أى : نسخة جيدة .

ثالثتهما : مخطوطة بالمكتبة الوطنية (بالجزائر العاصمة) أيضا رقم ١٦٤٤ ذات حجم مستطيل صغير ، خطها مغربي صمغى ردىء ، في كل صفحة منها ٢١ سطرا . وهذه النسخة يبدو أنها مجهولة الكاتب ، رغم أنها اختتمت بنفس العبارة التي ختمت بها النسخة رقم ١٦٤٣ . وذلك لأنهما يختلفان في شكل الخط اختلافا كبيرا .

وعلى كل فإن إحدى النسختين ليست بخط محمد بن البشير « آقراى » قطعا لا ريب فيه .

منهاجنا في تحقيق الرسالة

كان انتهاجنا لتحقيق هذه الرسالة على النحو التالي :

- ١ — محافظتنا على النص ، فلم نغير كلمة ندت عن المعنى المراد ، ولم نبديل حرفا قد وضعه القلم في موضعه دون أن ننبه عليه في حاشية الرسالة .
- ٢ — شرحنا لبعض المفردات اللغوية التي يستعصى فهمها ، من حيث مدلول معنيها : العربي والعجمي .
- ٣ — اعتناؤنا بالأبيات الشعرية من حيث وزنها وقافيتها والبحث عن منشئها
- ٤ — ارجاعنا كل آية من آى الذكر الحكيم إلى سورتها وتحديد رقمها .
- ٥ — ترتيبنا لفهرس مراجع المقدمة والرسالة حسب الحروف الهجائية .
- ٦ — ترتيبنا لفهرس الموضوعات الواردة في المقدمة والرسالة ، حسب الحروف الهجائية .
- ٧ — ترتيبنا لفهرس الاعلام والالقباب والكنى الواردة في المقدمة والرسالة .
- ٨ — ترتيبنا لفهرس أسماء الأماكن والبلدان الواردة في المقدمة والرسالة ، حسب الحروف الهجائية .
- ٩ — تخريجنا لقوافى الأبيات الشعرية الواردة في المقدمة والرسالة ، مرتبة حسب الحروف الهجائية .
- ١٠ — تخريجنا لآى الذكر الحكيم الواردة في المقدمة والرسالة ، مرتبة حسب السور .
- ١١ — ترتيبنا لفهرس القبائل والأجناس الواردة في المقدمة والرسالة ، حسب الحروف الهجائية .
- ١٢ — ترتيبنا لأسماء الكتب الواردة في المقدمة والرسالة ، حسب الحروف الهجائية .
- ١٣ — تخريجنا للألفاظ الأعجمية والإقليمية الواردة في المقدمة والرسالة ، مرتبة حسب الحروف الهجائية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

قال الشيخ الفقيه ، التحرير النبيه ، لسان الدولة ^(١) ، وفارس الجولة ^(٢) -
أبو العباس السيد أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن هطال التلعسباني - كثير العلم
وصحيح الأقوال ، رضى الله عنه .

الحمد لله « فالق الإصباح » ^(٣) ، وجاعل الليل سكنا « ^(٤) ، ومخترع
الأرواح ، ومصير الأشباح لها وطنا ، ومفضل الإنسان بالنطق المبلغ إلى كل منى .
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ، أفضل من سافر ومن قطنا ^(٥) ، وعلى
آله [وأصحابه ^(٦)] . ما حرك ريح الصبا غصنا .

(١) لسان الدولة : كاتبها . وقد كان — بالفعل — كاتباً لمحمد الكبير .

(٢) فارس الجولة : خواض المعارك . وقد خاض عدة معارك إلى أن استشهد
في إحداها .

(٣) فالق الإصباح : شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل ، أو عن بياض النهار ،
أو شاق ظلمة الإصباح ، وهو الغيش الذي يليه . والإصباح — في الأصل
— مصدر أصبح إذا دخل في الصباح ، سمي به الصبح . وقرئ . — أيضاً —
بفتح على الجمع .

(٤) سكنا : تسكن فيه الخلق من التعب . وجملة « فالق الإصباح ، وجاعل سكنا ،

اقتباس من آي الذكر الحكيم : سورة الانعام . الآية : ٩٦ .

(٥) هكذا — بألف قائمة — في جميع النسخ .

(٦) الزيادة من نخ .

أما بعد : فإن علم التاريخ من أجل العلوم قدرا ، وأكملها محاسن ^(١) وفخرا .
فهو أحد ما يطلق عليه علم العربية . كان أحق ^(٢) ما تنفق فيه الذخائر السنية .
وتصرف إليه المهج الزكية ^(٣) . إذ به عرفت قدماء الأمم ، وبه حفظت مكارم
أخلاقهم والشيم . فاشتغلت به علماء كل قطر ، وصنفت فيه أدباء كل عصر ، حتى
ملئت منة الخزائن ، وكثرت [فيه] ^(٤) الرسائل والدواوين . فبعضهم أخذ
بطرف كفيه ^(٥) ، وآخر اغترف بكتلتا يديه . وبعضهم ^(٦) أكترع في
المنهل ، وشرب شرب عب وعلل . ومع ذلك ^(٧) ترى كل واحد يمدح بضاعته
ويجليها [ويفضل بنات فكره ويجليها] ^(٨) ، ولكل وجهة هو موليها .

[وقد] ^(٩) أردت أن أذكر منه نبذة ، أخدم بها [حضرة] ^(١٠) قانع
المبغضين . ومدوخ المارقين ، من جمع الله له خصال الشرف والمجد ، وموجات

-
- (١) نخ : « محاسنا » ،
(٢) نخ . نر : « حقا » .
(٣) نخ : « الذكية » .
(٤) الزيادة من نخ .
(٥) نخ . نر : « كفه » بصيغة المفرد .
(٦) نر : « وبعض » .
(٧) العب : شرب بلا تنفس . العلل : شرب بعد شرب بالتنفس . وفي نخ :
« وشرب شرب من عب وعلل » .
(٨) الزيادة من نخ .
(٩) الزيادة من قلنا : لأن السياق يقتضيها .
(١٠) الزيادة من نخ .

الشكر والحمد: محل الجلال والعظمة والجود، الخصوص بنصر الآراء والبنود^(١)،
 ذا الأيادى العميمة، والمزن العظيمة، والسياسة السديدة، [والنعم المديدة]^(٢)
 الذى انعتد على تفضيله الاجماع، وجعل من فلك اليمن والسعدى درجة الارتفاع.
 كهف المستريح والعانى، الملاحظ برعاية الله^(٣) [السيد محمد باى ابن مولانا
 السيد عثمان باى]^(٤)، رحم الله السلف، وجعل البركة فى الخلف وخلف
 الخلف — آمين — .^(٥)

ممتصرا على ذكر خروجه إلى جهة القبلة^(٦)، عام تسعة وتسعين ومائة
 وألف .^(٧) مقدرا — بالسوائع —^(٨) مراحل، ومبيننا منازلها ومناهلها .
 أقول — ومن الله أرجو المأمول — :

اعلم أنه لما اتفق نظر سيدنا المذكور — أطال الله بقاءه [وأيامه]^(٩)، وجعل
 النصر دائما خلفه وأمامه — ، فى جهة القبلة [رأى] أنها ذات بلدان كثيرة،
 وأعراب راحلة ومقيمة [غزيرة]^(١٠). إلا أنها لم تنلها أيدي^(١١) السلطنة .

-
- (١) البنود : مفردا بند ، وهو العلم الكبير . والكلمة فارسية الاصل .
 (٢) الزيادة من نخ . (٣) نخ : د بعناية .
 (٤) نخ . نر : د السيد محمد باى ، السيد مولانا عثمان باى .
 (٥) نخ : د آمين . فهو القوى المعين .
 (٦) القبلة : الجنوب . (٧) الموافق لسنة (١٧٨٥ م) .
 (٨) السوائع : هكذا فى جميع النسخ . التى بين أيدينا ولم أقف على هذا الجمع ،
 وإنما ما أعرفه عنه هو : ساعات وسياح وساع .
 (٩) الزيادة من نخ .
 (١٠) الزيادة من نخ (١١) نخ : د ابدا .

ولم يكن منها للملك مصلحة ولا منفعة [معينة] ^(١)، كأنها أمة أبقت ^(٢) من أهلها، أو حرة نشزت ^(٣) من بعلمها ^(٤)، فشمّر لها عن ساعد الجدد، عازما على رد ما بها من النفاق والصد. فجمع جموعه وقواده [ونشر أعلامه] ^(٥)، ولم يزد على أن كان جيشه حشمه ^(٦) وخدامه.

فخرج يوم الخميس التاسع من ربيع الأول ^(٧) بقومه وعسكره، من «المعسكر» التي هي محل وطنه ^(٨). فنزل «واد الزلامطة» ^(٩)، وبينه وبين المعسكر ست ساعات ^(١٠)، ولما نزل أتاه ^(١١) أهل «أنقاد» يطلبون منه التوجه لنناحياتهم والذهاب إلى بلادهم ^(١٢) وعينوا له غنيمة كثيرة يأخذها في تلك الجهة ^(١٣) مع كونها قريبة المسافة ^(١٤)، حقيقة بالأمن والسلامة. فلم يرد ذلك عن مطلوبه، ولم يصرفه عن مرغوبه، وصرفهم بوجه جميل ^(١٥) وأصبح مرتحلا يوم الجمعة، ونزل «واد العبد». ومسافة ذلك خمس ساعات ^(١٦)

-
- (١) الزيادة من نخ. (٢) أبقت: هربت. (٣) نشزت: استعصت، وامتنعت. (٤) بعلمها: زوجها، وحليلها. (٥) الزيادة من نخ. والاعلام: الرايات التي تعقد على الرماح. (٦) حشمه: كل من يغضبون له، ويغضب لهم، من أقاربه، وجيرانه، وجمع رعيته. (٧) الموافق لليوم التاسع عشر من شهر جانفي سنة (١٧٨٥). (٨) نخ: د وطنه ومعسكره. (٩) نخ: د واد الزلامطة بغير آفات. (١٠) مشيا على الاقدام — آنذاك —. (١١) في جميع النسخ: (أتوه) على لغة أكلوني البراغيث. والتصويب من قلمنا. (١٢) نخ: د بلادهم وضاحيتهم. (١٣) نخ: د الجهة كبيرة. (١٤) نخ: د المسافة بالعلامة. (١٥) نخ: د جميل في غاية الشباب. (١٦) أي: ما بين د واد الزلامطة، ود العبد.

وقد كان أعد في هذا الموضع شيئاً كثيراً من الشعير ، بقصد هذا السفر (١) ، فشرع في تفرقة (٢) بقيمة يومه ذلك كله (٣) ، وأقام هناك بالغد لجمال تقسيم العلف ، فأخذ كل واحد على قدر دوابه (٤) ، ثم قسم عليهم الإبل يحملون (٥) عليها زادهم وعلفهم . فحصل للناس قوة وإعانة بذلك . وارتحل يوم الأحد ونزل « دير الكاف » ، وبينهما (٦) من المسافة ست ساعات (٧) . وقد ورد عليه هذا اليوم مشايخ الأعراب : كأولاد خليف والأحرار الشراقة وغيرهم (٨) . وفي يوم الاثنين ترك المحلة مقيمة هناك وركب غازيا على « العمور » ، فمشى ثمانى ساعات حتى نزل البيضاء (٩) . وهذا المنزل ذو آبار كثيرة ، وهى سهلة التناول (١٠) ، منها ما يكون مأوها على قامتين ، ومنها ما يكون على أقل أو أكثر بقليل ، إلا أن بعضها أطيب من بعض .

فاستقت الناس ، وعلقت دوابها (١١) ، وعندما نزل وردت عليه سكايب [من] الجزائر ، [وهى] أجوبة عن مكاتيب (١٢) اليباشى (١٣) ، فكان من

-
- (١) نخ : « السفر الجديد » .
 (٢) نخ : « تفريقته » .
 (٣) نخ : « ذلك كله من غير خلف » ،
 (٤) نخ : « دوابه فى كل ذلك » ،
 (٥) نخ : نر : « يحمل » .
 (٦) أى : بين « واد العبد » و « دير الكاف » .
 (٧) نخ : « ست ساعات باقتطاف » .
 (٨) نخ : « وغيرهم بالانتخاب » ،
 (٩) نخ : « البيضاء فى المجدور » .
 (١٠) نخ : « تناول بالمحض : »
 (١١) نخ : « دوابها وهم فى اليباشى » .
 (١٢) فى جميع النسخ : « مكاتب الجزائر أجوبة مكاتب ، والزيادة والتصويب من قلنا ، لأن تمام المعنى متوقف عليهما .
 (١٣) اليباشى : اسم رتبة من رتب ضباط الأتراك وكانت البايات تبعث آخر كل شهر قدراً معيناً من المال إلى باشا الجزائر ، فيدفعه إلى أصحاب هذه الرتبة فسمى هذا القدر بمال « اليباشى » ،

جملة ما استفيد منها (١) أن بعض أهل دائرة سيدنا « الباشة » - نصره الله - بعث فرساً أنى من عتاق الخليل ، محبة ورغبة في سيدنا (٢) ، كما أن الأحرار الغرابة قدموا عليه في ذلك (٣) الوقت بخيلهم التي اشترطها عليهم ، فقبلها منهم ، وأمرهم أن يأتوا له بمخمسمائة جمل ، كلها جيدة قوية على الحمل . فقبلوا ذلك ، وطلبوا منه الأمان ، فأمنهم (٤) . وركب [مساء يوم الاثنين] (٥) وقت المغرب ، ومررنا بموضع يسمى « اللفيحة » فنزل قيمة بعض [الليل] للاستراحة . ثم أتم بقية ليله سائراً حتى أصبح في « عين سيدى على » ، وتقدير هذه (٦) المسافة تسع ساعات (٧) ، فأقام يومه ذلك هناك إلى أن فات وقت العصر (٨) فركب وجد في السير خمس ساعات ، ونزل « عين سيدى سليمان » ينتظر الطوالع (٩) فأتوه بخبر منزل القوم ، وأنه خلف الجبل (١٠) . فلما سالهم عن أسمهم : وجدهم غير الذين أرادهم ، فزجر الطوالع ووبخهم ، وقال لمشائخهم (١١) : إن لم تدلوني على ما ذكرت لكم ، فلا تقبل منكم غيرهم . فعند ذلك جدت الطوالع في غارتها ، وتفرقت الخليل في نواحيها - حتى أتوه عند « خنيق (١٢) الملح (١٣) »

(١) في جميع النسخ : « منهم » ، والتصويب من قلبنا .

(٢) نخ : « في سيدنا الفضل » . (٣) نخ : « في تلك » .

(٤) نخ : « فأمّنهم وهم في الانشراحه » . (٥) الزيادة من نخ . نر .

(٦) نخ : « هذا » . (٧) نخ : « ساعات في المستعلى » ،

(٨) نخ : « العصر بالمطالع » .

(٩) للطوالع : الأصل في الطوالع السكواكب التي يتفاهل بطلوها للسعد ، أو يتشائم بطلوها للنحس ، ويراد بها - هنا - رواد الجيش ، وكشافته .

(١٠) نخ : « خلف الجبل ما نخهم » . (١١) أى لرؤسائهم .

(١٢) نخ : « عند خناق » . (١٣) « الملح خيرهم » .

وبينه (١) وبين « عين سيدى على » تسع ساعات، لأن من « عين سيدى على » إلى « عين سيدى سليمان » خمس ساعات . ومن « عين سيدى سليمان » إلى « خنيق (٢) الملح » أربع سوائع (٣) . وهذا الجبل كله من ملح ، إلا أن أكثره يظهر فى رأى العين أخضر ، والبعض منه كشفت ترابه الأمطار وغسلته ، فصار ملحاً أبيض ما يكون . فإذا نظر العاقل هذا الجبل ظهر له ما يدل على قدرة الله تعالى (٤) ، التى لا يعجزها ممكن (٥) . فسبحان مكن الأشياء بقدرته ومظهر العجائب بحكمته . وحيث (٦) أدركته الطوابع ، حسبما ذكرت فى هذا الموضع ، وأتوه بالخبر اليقين ، صح عنده شن الغارة على تلك الجبال والأودية (٧) .

فلم يبق (٨) واد إلا وفيه طليعة ، ولا جبل إلا وعليه كتيبة (٩) ، وكانت منازل القوم بعضها فى الوادى ، وأكثرها فى الجبل . فقصد « سيدنا » من كان فى الجبل منهم (١٠) ، ففروا هاربين بأنفسهم (١١) طالبين النجاة لذريتهم وعيالهم ، فأخذوا عن أجمعهم ، إلا من ستره الله (١٢) . وكذلك — أيضاً —

-
- (١) نخ : « وبينهم » .
 (٢) نخ : « غناق » .
 (٣) هكذا فى جميع النسخ التى بين أيدينا ، ولم أطلع على هذا الجمع ، وإنما ما أعرفه هو : ساعات ، وسماح ، وساع .
 (٤) نخ : « تعالى المهيمين » .
 (٥) نخ : « الممكن » .
 (٦) نخ : « وحين » .
 (٧) نخ : « والأودية بالتيقين » .
 (٨) فى جميع النسخ : « وادى » ، والتصحيح من قلبنا .
 (٩) فى جميع النسخ : « كتيب » . والتصويب من قلبنا ، لأن المكتيب هو القرية المشدودة بالوكاء . وفى نخ : « كتيب سريعة » .
 (١٠) نخ : « من كان منهم فى الجبل » . (١١) نخ : « بأنفسهم دون ما لهم » .
 (١٢) نخ : « الله القدير » .

الذين في الوادى ، قد أحاطت بهم الخليل ، فلم يمنع لا قليل ولا كثير . فغنمت منهم الناس « غنيمة » كثيرة : من خيام ، وفرش وأمتعة ^(١) . ثم جمع ما أخذ لهم من الإبل ، وحسبها فوجدها نحو ألف جبل . وأما الغنم فزهد فيها سيدنا ، ثم انتهبها الناس بالذبح حتى ترى الرجل الواحد يذبح الشاتين والثلاثة والأربعة ^(٢) حتى استغنوا كلهم وفضل نحو أربعة آلاف ، أخذها سيدنا وبات مكانه . ويسمى هذا الموضع بـ « سلام » ، ^(٣) وبينه وبين « خنبيق الملح » ثلاث ساعات ^(٤) ، ثم أصبح مرتحلاً نحو « الخضراء » ، فوصل إليها في ست ساعات ، فجاوزها بنحو ^(٥) الميل ونزل على « تاويله » ^(٦) ، وهما مدينتان كل واحدة لها بساتين كثيرة ، وماء غزير ومزارع ، إلا أن « تاويله » ^(٧) أكثر عمارة وأوسع مزارع ^(٨) ، فلما نزل الحلة ، وحطت الناس أثقالها ، وضربت خيامها وأخيمتها شرعوا في نهيهما ^(٩) . أما « الخضراء » فلم يجدوا فيها إلا ما قل من الزرع والتبن ^(١٠) . وأما « تاويله » ^(١١) فقد وجد الناس ^(١٢) فيها من

-
- (١) نخ : « وأمتعة كبيرة » . (٢) نخ : « والأربعة خلاف » ،
(٣) نخ : « بسلم » بلام مفتوحة مشددة ، وقد اشتبهت بباء الجر بباء السكنية على المزجم « Gorguos » فنقلها في تعجييمه للنص « بوسلام » انظر المجلة الافريقية لسنة (١٩٥٨ م) ، ص : ٥٦ .
(٤) نخ : « ثلاث ساعات بالمعلم » . (٥) نخ : « في نحو » .
(٦) نخ : « تاوالة » . (٧) — نخ : « تاوالة » .
(٨) نخ : « . . . مزارع من الخضرا تايلالة » .
(٩) « في نهيهما ، وجالت جولتها » .
(١٠) نخ : « والتبن التوالى » ، (١١) نخ : « تاوالة » .
(١٢) كلمة : بعض ، ساقطة من نخ .

القمح والشعير وغيرهما من الحبوب ما لا يحصى عدده الا الله تعالى . وقد وجدوا فيها [بعض] ^(١) الامتعة ، وأصاب [فيها] ^(٢) بعض الناس بيتاً مملوءاً من الرمان . وهذا دليل على كثرتة بهذا البلد ، لأنه ليس وقت إبانة ^(٣) . وأما أهلها من الرجال والنساء فسمعوا بقدومه قبل وروده عليهم ، فهربوا بأنفسهم وذرايرهم ^(٤) وتفرقوا في رؤوس الجبال وبطون الأودية ، ولم يأخذوا من أمتعتهم إلا ما خف حمله ، وكثر سومه ، وتركوا ما عدا ذلك ^(٥) ، فصار كله غنيمة للجند . فأقام بها يومين والناس لم يفتروا من نقل حوائجها وزرعها . ثم ارتحل منها ونزل « الخير » ^(٦) وهذا المنزل فيه ثلاث عيون ، كل عين منها في غاية ما يكون ، في صفاء الماء وقوته ، واتساع الأرض التي تسقى به ^(٧) . ثم تلك العيون مفترقة في أماكن ينابيعها ^(٨) ، وحيث انفصلت عن أماكنها ، انحدرت من بلادها ، اجتمعت فوق المضيق ، الذي يقال له : « رأس واد شلف » . ومنه إلى أسفل يسمى « سيقاق » ^(٩) وقد أخبرني من أثق به : أنه « الشلف » ^(١٠) على التحقيق . وقد وصف لي طريقه ، وسعى لي جميع البلاد التي يمر عليها ، حتى أوصله إلى قرب مليانة ^(١١) وكان هذا الرجل من أهل

-
- (١) الزيادة من نخ . (٢) نخ : د إبانة بالبيان .
 (٣) نخ د وذرايرهم ، وما لإيهم .
 (٤) نخ : د ما عدا ذلك بنفعها .
 (٥) د الخير : — بفتح الحاء وفتح الياء المشددة كما ضبط في نخ .
 (٦) نخ : تسقى به لشدة .
 (٧) نخ : ينابيعها وملاذها .
 (٨) نخ : د سيقاق .
 (٩) نخ : د الشلف .
 (١٠) مليانة : هي ثلاثة الثلاث : الجزائر ، والمدينة ومليانة . وقد أسس جميعها د يسكنين ، ابن د زيري ، بن د مناد ، د الصنهاجي . بعد الستين من القرن الرابع الهجري .

هذا البلد ، بل هذا الخبر شائع عند أهل تلك البلاد ^(١) . فلا ينكره أحد منهم ^(٢) . وكانت المسافة بينه وبين « تاويله » ^(٣) ست ساعات فبات الناس على هناء ^(٤) . وبالفرد طارت القوم في غيبش ^(٥) الظلام إلى مدينة بقرب « الخير » يقال لها « تادمامه » . فهرب أهلها ، وأخذوا ما قدروا على حمله وعاجلهم ^(٦) عن الباقي ^(٧) . فأخذوا ما وجدوا فيها من قمح وشعير ، وغير ذلك . وهذا ما كان في ذلك اليوم .

ذكر على (المحلة) ^(٨)

سبق لنا أنه تركها في « دير الكاف » ، وذهب غازيا . اعلم أنه لما أصبح يوم الاثنين عازما على ما أراده ، قاصدا لما يكمل مراده . وكان مصاحبا له في هذه المحلة قرة ناظره ، وعضد ساعده ^(٩) ، صاحب الفخر والأمتنان ، جامع شتات الفضل والإحسان ، وارث مجدة : ابنة السيد عثمان ، فأمره أن يقوم بأمر « المحلة » ، ويسير بها رائدا من غير عجلة ^(١٠) . فأقام يومه ذاك ^(١١) ، وبالفرد ارتحل ، ونزل « السيد عبد الرحمن » ^(١٢) . ومنه نزل

-
- (١) نخ : « البلد » . (٢) نخ : « منهم عناية » .
 (٣) نخ : « تاوالة » . (٤) نخ : « هناء ليست فيها ندامة » .
 (٥) نخ : « غلس » وكلا اللفظتين . هناهما ظلمه آخر الليل .
 (٦) نخ : « وعاجلهم » . (٧) نخ : « الباقي بترك اللوم » .
 (٨) نخ : « ذكر على المحلة غازيا » . (٩) نخ : « ... ساعده وخاطره » .
 (١٠) نخ : « بغير المعجلة » . (١١) أي يوم الاثنين .
 (١٢) اسم مكان ، سمى باسم شخص صالح يقال له « السيد عبد الرحمن » .
 وفي نخ : « السيد عبد الرحمن بالمهل » .

« القطيفة » وأقام بها لكثرة الأمطار ، وشدة الوحل ، وارتحل من القطيفة ،
ومر بالبيضاء ^(١) .

فأمر الناس أن يسقوا دوابهم ، يأخذوا الماء لأنفسهم ، ففعلوا . ثم جاوزها
ونزل بمكان قريب منها ^(٢) . ثم ارتحل ونزل « الحليات » . وبالغد ارتحل
فنزل « مكانه » ^(٣) على يمين « واد سبقاق » ، بنسبة الذهاب بجهة القبلة ^(٤) .
ولما غشيهم الليل ، طمع بعض أعراب تلك الجهة في سرقة المحلة ، فاختفت
جماعة منهم ، وصاروا يحتالون على كيفية الوصول إلى الإبل ، أو غيرها
من دواب المحلة [^(٥)] . فإذا ببعض الترك كشفهم ^(٦) وخرّبهم
فأصابوا واحدا [منهم] ^(٧) ، فقتلوه وقطعوا رأسه ^(٨) ، وأتوا به لصاحب
« المحلة » : السيد عثمان ابن سيدنا ، فأعطاهم دراهم وشكرهم . ثم ارتحل منه
ونزل « الخير » ، فاجتمعت المحلتان ، والفتت الفرقتان . فكان يوم عيد ؛
وعند كل واحد فرح جديد .

واشتد البرد في هذه الدار ^(٩) ، ونزل من الثلج ما كانت الناس
تظن أن مثل ذلك لا يقع في الصحو ، لتسويتهم بين سهلها وجبالها ^(١٠) ،
مع أن هذا الجبل ذو ^(١١) برد شديد ^(١٢) . وهو مرتفع جدا ، ومياهه

-
- (١) نخ : بالبيضاء وبها لم ينزلوا . (٢) نخ : منها بغير الاختلاق .
(٣) نخ . ونزل بمكانه . (٤) نخ : القبلة باتفاق .
(٥) الزيادة من نخ . (٦) في نج . نر : د كشفهم .
(٧) الزيادة من نخ . (٨) نخ : وقطعوا رأسه لما استنكرهم .
(٩) نخ : الدار بالفجو .
(١٠) أى أن الناس كانوا يظنون أن الصحو في السهول مثله في قمم الجبال .
(١١) في جميع التسخ : د ذا ... ، والتصويب من قلمنا .
(١٢) نخ : شديد مفرق للرفقات .

كثيرة ، فكان له شبه بجهال التل ، بل هو أشد بردا منها في بعض الأوقات . ولما رآه ^(١) قد كثر ، ولم ينقطع خاف منه على الإبل ، فارتحل وسار أربع ساعات وول « قصر أوغل » ^(٢) . فتركه ذات الشمال ، ونزل جهته ^(٣) الغربية ، وعندما نزلت الحلة قصدت القوم ^(٤) هذا القصر ، لأجل الشعير والقمح وغير ذلك ^(٥) . فوجدوا أهله هربوا منه ولم يتركوا شيئا ظاهرا ، فبحثوا في أما كنه الخفية ، فبعضهم أصاب ، والبعض خاب . وفي هذه الدار ^(٦) قدمت عليه طوائف العرب مثل « أولاد صالح » . و « أولاد يعقوب » القبالة ، و « أولاد يعقوب » الغرابية ^(٧) وغيرهم . وكلهم أتوا ب « القادة » ^(٨) طالبين الأمان لأنفسهم متحملين لما فرض عليهم ^(٩) ، فجعل على كل قبيلة منهم شيئا معلوما من الأبل والخليل وأمنهم ، وكسأهم ، ورفع عنهم ما هم فيه من الخوف والويل .

ففرحوا بالأمان فرحا شديدا ، وذهبوا مبشرين أهلهم بعافية وطنهم وعمارته ونخبهم بسطوة الملك ^(١٠) وكرامته . وبقي بهذا المنزل يومين وارتحل ، فشى

(١) الضمير يعود على الثلج ، والرائي هو محمد الكبير . وفي نخ : « رأوه ،

بصيغة الجمع .

(٢) هكذا في نخ ، ونر . ولعله « قصر آفلو » . وفي نخ : « واد الابل

الحرية » . (٣) (نخ : « جهته » . (٤) القوم : الفرسان : (الخيالة) .

(٥) نخ : « وغير ذلك ليأخذ كل ماله ناب » .

(٦) أى : قصر آفلو ، أوغل . (٧) نخ : « الغابة » ،

(٨) القادة : قوادهم ورؤساؤهم ، والسكمة أقليمة الزعرة . وفي نخ :

« بالقادات » .

(٩) نخ : « عليهم أنيل خيرهم » . (١٠) الملك : هو الباي محمد الكبير ،

ست ساعات ونزل « وارتن » ^(١) على حاشية الوادى ^(٢) من الجهة الشرقية .
ومن الجهة الغربية يصعد إلى القعدة ^(٣) ، التى يضرب بها المثل فى الصعوبة المحيطة
بها سبعة أدوار ^(٤) ، فلذلك اشتهرت بهذا الاسم ^(٥) . فتجد البعض يسميها
« سبعة أدوار » ، والبعض يسميها : « القعدة » . قالقعدة عندهم عالم بالغلبة على
الموضع الخصوص فى طرف « جبل راشد » ^(٦) . وقد انحاز إلى هذه القعدة
جميع من فى هذه الجهة من الاعراب وامتلأت منهم الأودية ، والجبال والشعاب ،
ظنا منه أنها تنجيه ، وتمنعه ممن يطعم فيه وتحميه ، فاعتمد عليها ، وفوض أمره
إليها ، حتى أنه رقد بالنوم ، ولم يشعر بما تصنع قدرة الحى القيوم . وعند المساء
أمر مناديه ^(٧) أن ينادى بين أجناده : ألا أنه إذا طلع الفجر ، فليتهاى الراكب
والعسكر ^(٨) . ولما أصبح الله بخير الصباح ، وركب سيدنا ، وقصد « سبعة
أدوار » بخيله ورجله ، و « لكل امرئ منهم — يومئذ — شأن يغنيه » ^(٩)
فلما أحست به الأعراب التى فى القعدة تحصنوا فى جبل وعر ، وواد حصين ، بحيث

-
- (١) بهذا اللفظ فى نج ، ونر . وفى نخ : « وبالروان نزل » . وقد شك
المترجم فى تركيب كلا فى اللعظتين ، وتحقيق من دخول تصحيف عليهما .
أنظر : « المجلة الأفريقية » ، لسنة (١٨٥٨ م) ، ص : ٥٩ .
- (٢) فى جميع النسخ : « الواد » ، والتصويب من قلنا .
- (٣) نج ، نر : « القعر » . (٤) نخ : « أدوار كالمجوبة » .
- (٥) نخ : « الاسم فى الرخاء والشدّة » .
- (٦) نخ : « راشد المرتفع » .
- (٧) نخ : « مناده » .
- (٨) يقصد بـ « الراكب » الفرسان ، وبـ « العسكر » الجنود المشاة .
- (٩) هذا اقتباس من آى الذكر الحكيم سورة : « عبس » . الآية : ٣٧ .

ان الرأى إذا تأمله وتحقق حصنه ووعره ، علم أنه لا نظير له ^(١) . فلم يلبثوا إلا قليلا حتى أحاطت بهم القوم ^(٢) من كل جهة ^(٣) ، وجعلت تلتقط أنعامهم ، وتنهب خيامهم ، وأمتعتهم حتى أخذوا ^(٤) عن آخرهم ، ثم وصل اليهم العسكر وصار يلتقطهم من تحت الأحجار ، ويخرجهم من الغيران ، حتى أنه لم يبق منهم واحد إلا وهو واحد من ثلاثة ^(٥) : أما قتيل ، أو أسير ، أو مقطوع الأذن حسير ^(٦) ، بعد أن كان فريد دهره ، وواحد عصره . وقد نبه سيدنا على أن المرأة لا يتعرض لها ^(٧) ، ولا يأخذ أحد شيئا من لباسها ، صونا لحرمتها وتنزيها عن حقارتها ^(٨) . فلما رأى ما حل بهم أدركته الشفقة عليهم . فأمر باطلاق الشيوخ والصبيان ، وترك ^(٩) الكهول ، والشبان والأعيان ، حتى أوصلهم إلى « المحلة » ، وباتوا على حالهم تلك الليلة ، وعند الصباح جمعهم وأعطى لكل من جاءه بواحد منهم [العدد] ^(١٠) الذى سمى له ، ثم أطلقهم ، منا منه عليهم ، راجيا أجر ذلك ^(١١) ، وراغبا فى ثواب ما هناك ^(١٢) . وكان أكثر ما أدركته الرقة حين رأى شيخا كبير السن من ذرية بعض الصالحين أنه لا يقدر على المشى ، أمر خدامه أن يحملوه ، وكساه واعطاه دراهم ^(١٣) ، وباندد أعطاه

-
- (١) نخ : « لا نظير له فى التحقيق » .
 (٢) أى : الفرسان (الخيالة) .
 (٣) نخ : « جهة فى محاصرهم » .
 (٤) أخذوا : بالبناء للجهول .
 (٥) نخ : « من ثلاث بالبیان » .
 (٦) حسير نادم ، متلف .
 (٧) نخ : « لها فى حقارتها » .
 (٨) حقارتها : يريد بحقارتها - هنا - ضعفها وعدم استعدادها لمقاومة الشدائد .
 (٩) وترك : أى تركهم قيد الاسر . (١٠) الزيادة من نخ ، نر .
 (١١) أى : أجر ذلك المن . (١٢) أى : فى الذار الآخرة .
 (١٣) : « دراهم ، ولم يكن فيه من الزاهدين » .

فرسا ، وزاد له كسوة أخرى ، ودرهم ، وردة لأهله مكرما^(١) . وهذا الرجل أصله من « الغيشة » يدعى « السيد »^(٢) الموهوب . وأما الغنم والبقر ، فلم يأخذ شيئا من ذلك ، لأنه كان يفضل [بها]^(٣) على خدامه ، بل قال لهم : من أخذ شيئا فهو له^(٤) وأمر أن يعلن بذلك المنادى ، حتى صار شائعا ، ذائعا عند كل حاضر وبادى^(٥) . فجعل الناس يقسمون القليل والجليل ، ويركضون في كل صاعد ونزيل . وحصل لهم سرور ونعمة ، وتباعدت عنهم كل فاقة ملة . فلا تسمع إلا هذا صائدا يطرد ، وهذا صائح يعربد^(٦) . والكل معلنون بحياة سيدنا ومبتهلون بالدعاء بنصره ، وتخليد الخلافة في نسله وفرعه^(٧) . ثم أن بعض العرب من أهل « هذه القعدة » ممن أسعده^(٨) الله حين صعد سيدنا إليها^(٩) تمسكوا^(١٠) بالمشايخ الذين معه ، واعتذروا بضعفهم ، وقلة معرفتهم بالملوك . فصالحوه على أن يعطوا له أربعمائة رأس من البقر ، ومائة حمل من

(١) نخ : « مكرما في حالة المحبوب » .

(٢) نخ : « بالسيد » .

(٣) نخ : « بهله » . نخ ، تر : . والتصويب من قلبننا .

(٤) نخ : « له وصمم في كلامه » .

(٥) أى : حضرى ، وبدوى .

(٦) بعربد : هكذا في جميع النسخ . ولعله : ينرد ، لأن العربدة لردة سوء الخلق . لاهذا لا يتناسب مع سياق كلام المؤلف .

(٧) نخ : « وفرعه بأشهره » .

(٨) في جميع النسخ : « سعد . . . » والتصويب من قلبننا لأن سعد لا يتعدى .

(٩) نخ : « إليها للسلوك » .

(١٠) نخ . تر : « فتمسكوا » .

الشعير^(١) . وأما الخليل لم يكن عندي^(٢) تحقيق في كم ما دفعوا له^(٣) فحين تيقنوا حزمه^(٤) ورأوا جده وفعله ، علموا أن التراخي لا يمكن شغله^(٥) ، ولا ينفع التأني في خدمته . فذهبوا مسرعين بجميع ما أمرهم به^(٦) ، فلم تطمئن أنفسهم^(٧) حتى أتوا بجميع ذلك ، ورجعوا بين خوف ورجا ، طامعين أن يجعل الله لهم بطاعتهم فرجا . ثم ارتحل عنهم ، وجاوز « واد مرة » في ثلاث ساعات^(٨) .

وجد في سيره حتى نزل « الدبداب » على ست ساعات ونصف . وهذا الموضع هو رأس « واد القصب »^(٩) . وكما يسمى « الدبداب » يقال له : أبو شكوة أيضاً . « والسكرط » في جهته الشرقية على نحو الميلىن ، وفوقه « حاس الحمار » على نحو ثلاثة أميال^(١٠) . والجبل الذى في قبلته يسمى « الأخضر » وفي طرف « الأخضر » من جهة الشرق قرية ، تسمى : « الشارف » ، وحيث نزل هذا الموضع ذكرت له مدينة ، وهذه المدينة تسمى : « زينة »^(١١) ، قريبة من « الدبداب » بنحو أربعة سوانع^(١٢) . وهى لبعض الأعراب الذين لا حكم

-
- (١) نخ : « حمل شعير »
 لى (٣) نخ : « فيكم فادفعوا له بالتحريير » (٤) نخ : « حزمه وقوله » .
 (٥) نخ : « فى شغلته » ، وعبارة النص لم تؤد تمام المعنى .
 (٦) نخ : « به فى ذلك » ، (٧) نخ : « نفوسهم » .
 (٨) نخ : « فى ثلاث ساعات بلا عنف » .
 (٩) نخ : « واد القصب محضا » ، (١٠) نخ : « ثلاث فى المتقارب » .
 (١١) نخ : « ذكرت له مدينة تسمى الزينة فى أنشائع » .
 (١٢) سوانع : هكذا فى جميع النسخ التى بين أيدينا والصواب ساعات ، أو سباع ، أو ساع .

عليهم لأحد . وأهلها أصحاب قوة ، وعدة ، وعزة ^(١) . وقد ذكروا له أن باى
(تيطرى) نزل عليها فطردوه ^(٢) ، وقتلوا له رجلين ، وذهب مذموما
مدحورا .

فلما سمع كلامهم على هذا الوجه اشتد حرصه عليها ، وأراد النزول بقربها ،
فراوده بعض من كان معه من المشائخ أن لا يذهب إليها ، وأن لا يكشفه
حريمها ^(٣) . ووصفها له بالحقارة وعدم الطاقة . وقال له : ليس فيهم قدرة على
على ملاقاتك ^(٤) ، وهم مشغولون في خدمتك ، وأنهم يجمعون خمسة وعشرين
ملوكا ويقدمون بهم ^(٥) لحضرتك . فأبى عن خدمتهم ، ورغب عن طاعتهم ،
ولم يرد إلا عقوبتهم ^(٦) لجسارتهم على (الباي لار) ، وأخذته الأنفة عليهم ،
ولكن استصغروهم في عينيه . فعلت همته أن يتولى قتالهم بنفسه ^(٧) ، فأمر
خليفته ومتولى خدمته ، [من له قدمه] ^(٨) في المفاخر السيد محمد بن
عبد الله ^(٩) أن يذهب إليها ، ويرجف بجذله وركابه عليها ، وحيث
سمع كلامه نهض إليها ، وأخذ معه بعض العسكر ^(١٠) . فلما رآه ^(١١)

(١) نخ : « قوة ، وعزة ، وذو عدد » .

(٢) نخ : « فطردوه محقورا » .

(٣) نخ : « حريمها بحرهما » . (٤) نخ : « ملاقاتك الشاقة » .

(٥) في جميع النسخ . « بها » ، والتصويب من قلبنا .

(٦) نخ : « عقوبتهم باشتار » . (٧) نخ : « بنفسه فيما لديه » .

(٨) الزيادة من نخ . (٩) نخ : « محمد بن عبد الله من المشاهر » .

(١٠) نخ : « العسكر للنزول عليها » .

(١١) في جميع النسخ : « رأوه » ، على لغة أكلوني البراغيث . والتصحيح
من قلبنا .

أهل تلك القرية ^(١) علموا [أنهم] ^(٢) لا قدرة لهم ولا طاقة للملائكة . فخرجوا منها بأجمعهم ، ولم يأخذوا شيئاً من أمتعتهم وقوتهم ^(٣) ، وتركوها « خاوية على عروشها » ^(٤) ، أسيرة في يديهم قوتها ^(٥) فدخلها من غير حصار عليها ولا قتال ^(٦) فانهبت جميع ما فيها من القماش و « الغرائر » ^(٧) والسمن وغير ذلك مما ترغب فيه النفوس . وقد وجد فيها من القمح والشعير ^(٨) ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى ، فحملت منه الناس شيئاً كثيراً ^(٩) وأكثرهم يرغب في الشعير دون القمح . فتراهم يفتحون المطامير ، فإن وجدوه شعيراً حملوا منه ما قدروا عليه ، وإن وجدوه قمحاً يأخذوا منه شيئاً ^(١٠) ، وكر ^(١١) راجعاً لمحلته ، ظافراً ^(١٢) بحاجته ، فأقام ^(١٣) في الغد في هذه الدار ^(١٤) . وقد كان ورد عليه أهل تاجوت ^(١٥) وأهل عين ماضي ^(١٦) بعلماهم وكبرائهم ، يريدون خدمته كآحاد ^(١٧) .

-
- (١) نخ : « القرية وكثرة جيشه وطاقاته » . (٢) في نج . نر : « أنه » .
(٣) نخ : « وقوتهم وسلهم » .
(٤) اقتباس من آي الذكر الحكيم ، « سورة البقرة » الآية ٢٥٩ .
(٥) نخ : « بمقوتها بفروشها » . (٦) نخ : « ولا قتال يسوس » .
(٧) الغرائر : مفردتها غرارة بكر أوله ، وهي الجواللة التي تنسخ من صوف ، أو وبر ، أو شعر ، بقصد جعلها ، أو عية للحبوب .
(٨) نخ : « والشعير ومالا به يبالا » . (٩) نخ : « كثيراً بالعز والفرح » .
(١٠) نخ : « شيئاً ولا يرجعوا إليه » .
(١١) الضمير في « كر » ، يعود على محمد بن عبد الله .
(١٢) نخ : « ضافراً ، بضاد غير مشالة » .
(١٣) الضمير من « فأقام » ، يعود على الباي محمد الكبير .
(١٤) المراد بـ « الدار » ، هنا = « الدبداب » (١٥) نخ : « تاودموت » .
(١٦) نخ : « عين ماضي بالاشتار » .
(١٧) في جميع النسخ : « كآحد » . والتصويب من قلنا .

الرعية ، ويلزمون أنفسهم بشئ ، يرتضاه ^(١) . حتى تأتي على جميعهم المنية .
 فقسط لكل واحدة منهما قسطا معتبرا ^(٢) يعطونه في كل عام إلى آخر الدهر .
 وجعل لهم شيئا معلوما — غير الذي التزموا على الأبد — ^(٣) يؤدونه ^(٤) إليه في
 هذه السنة خاصة فقبلوا ذلك كله ، وشرعوا من حينهم في دفعه . ^(٥) فكانوا ^(٦)
 يدفعون الدراهم ، والصياغة ^(٧) ، والثياب ، والخيل . ثم ارتحل من « الدنداب »
 ونزل « الحواجب » ^(٨) قبالة « تاجوت » ^(٩) . ومسافة هذه الرحلة ثلاث
 ساعات ^(١٠) وبهذه الدار عيون كثيرة ، وماؤها عذب سائغ للشاربين ^(١١) ، وتحت
 مزارع تسقى منه ، وبينه وبين « تاجوت » ^(١٢) نحو ثلاثة أميال . وفي هذه الدار
 دفع ^(١٣) أهل « تاجوت » ^(١٤) جميع قطيعاتهم التي تحملوها ، وشرع ^(١٥) أهل
 « عين ماضى » في الدفع ، ^(١٦) ثم ارتحل ونزل « أم الضلوع » على ثلاث ساعات

(١) نخ : د بما يرتضاه . (٢) نخ . د القسط المعتمر .

(٣) نخ : د على الأبد ليس مقاصة .

(٤) نخ : د يؤده . نخ : نر : د يؤدوه . والتصويب من قلنا .

(٥) نخ : د في دفعه في النهار والليل . (٦) نخ : د فكانه .

(٧) الصياغة الحلى من الذهب والفضة . والكلمة عامية ؛ لأن « الصياغة »

حرقة الصائغ .

(٨) نخ . نر : د الجواجب . (٩) نخ . د تاودموت .

(١٠) نخ : د ساعات في الثبوت . (١١) نخ : د للشاربين مدة الاجيال .

(١٢) نخ : د تاودموت .

(١٣) في جميع النسخ : د دفعوا ، والتصويب من قلنا .

(١٤) نخ : د تاودموت .

(١٥) في جميع النسخ : د وشرعوا ، والتصويب من قلنا .

(١٦) نخ : د في الدفع للقطيع التي تحملوها .

من « الحواسب » . وعندما وصل المنزل قدمت مشايخ « بنى الأغواط » ^(١) وعلمائهم ، وبأيديهم [كتاب] ^(٢) صحيح البخارى — رضى الله عنه — طالبين الأمان على أنفسهم وأهلهم ^(٣) ، وهم مذهبون بالطاعة ، قابلون أن يكونوا رعية على أن يعطوا مائة خادم وخمسة آلاف سلطاني ، ومائة ثوب وأربعة أفراس . قلما رأى حرصهم على هذا الأمر وتحملهم ورضاهم بذلك القدر قال لهم : أن أتيتم بما ذكرتم ، ووفيتم بما وعدتم فلکم منى الأمان — وأى أمان — ، ثم كساهم كلهم ، كما كانت عادته مع غيرهم ، وزاد لكبيرهم « منطقة » ^(٤) فائقة ، و « حلة » رائقة . وطلبوا منه أن يقيم في هذا الموضع ^(٥) حتى يدفعوا له جميع ما التزموه . وانصرفوا ، وبعث معهم خدامه ^(٦) « الخازنية » لخلاص ذلك على العادة المعلومة في الرعية . فلما وصلوا لبلادهم ، وتفكر سيدنا في أمرهم فوجد أنه لم يجعل عليهم شيئا معلوما ، يؤدونه في كل عام ، يأخذ عليهم عهدا في ذلك ^(٧) ، مع أن هذا هو المقصود بالذات . وأما غيره — ولو كان كثيرا في نفسه — فهو تابع ، غير مقصود . فكتب لهم كتابا يعلمهم بما نسيه وأنه هو المراد ^(٨) . وبقي وبعث به مع بعض « قياده » ^(٩) ، فطرقهم به ليلا ، إلا أنه وجد نياتهم قد تحوت وطوياتهم قد فسدت ، فاجتمعوا عليه لقراءة

-
- (١) نخ : « بنى الأغواط لتليل المراتب » .
 (٢) الزيادة من نخ . نر . (٣) نخ : وأهلهم لسن النيراس .
 (٤) منطقة : — بكسر الميم وفتح الطاء — ثوب يتمنطق به .
 (٥) نخ : « الموضع الذى فيه بالعدد تسكفوا » .
 (٦) نخ : « خدامهم » . (٧) نخ : « فى ذلك الالتزام » .
 (٨) نخ : « المراد بالمقصود » . (٩) « قياده : قواده والكلمة أقليمية عامية

الكتاب ، وبقي حامله وأصحابه منتظرين ^(١) ما به من الجواب . فلما فتحوه ألقوه مخالفا لغرضهم ، فجعلوه سببا لنقض عهدهم وحجة لكرهم . وقالوا — كلهم — هيهات ، هيهات ، فلا يكون شيء من هذا مدة الحياة ^(٢) .

ثم أمروا « المخازنية » بالارتحال عنهم سالمين وإلا يذهبون ^(٣) نادمين . واشتغلوا بعمارة الأسوار ، ويقولون لبعضهم بعضا ^(٤) : الحصار الحصار ، وجعلوا يبعثون لمن حولهم من الأعراب والقرى . « وتراهم سكارى ، وما هم بسكارى » ^(٥) فجاءتهم الأجناد حتى ظنوا أنه لا يصلهم أحد إلى البلاد . ورتبوا أعيان البلاد ، أهل النجدة والبأس ^(٦) في الأماكن التي يخاف منها ^(٧) وجعلوا الرماة ^(٨) في الأبراج العالية المشرفة على جميع البقاع . وغلقوا أبواب المدينة بالبنيان ^(٩) . ربما غلقوا السكك ^(١٠) وأبواب الدور بالبنيان كذلك ، ويفتحون طاقات يدخلون منها ويخرجون ^(١١) .

والحاصل أنه لم يسبق لهم باب من أبواب الخوف إلا وغلقوه ؛ ولا أمر

(١) نخ : « حاملة منتظرا » .

(٢) في جميع النسخ « الحيات » . والتصويب من قلبنا .

(٣) نخ : « يذهبون » . (٤) نخ : « بعض » .

(٥) هذا اقتباس من آي الذكر الحكيم ، سورة « الحج » الآية : (٢) .

(٦) نخ . نر : « والناس » :

(٧) نخ : « منها هلاك النفس » .

(٨) في جميع النسخ . « الرماة » والتصويب من قلبنا .

(٩) نخ : « بالبنيان الشديد الاقلاع » .

(١٠) السكك : الآزقة .

(١١) نخ : « ويخرجون لذلك » .

نافع لهم إلا واستعدوه ، والمواقع الرميّة جددوها ، والجديدة حصنها وشيدوها ، مع أن هذه المدينة عظيمة في نفسها ، محمية بأسوارها ورجالها . ولذلك لم يطمع أحد ممن كان قبله فيها ^(١) . ولما رتبوا كل صنف ^(٢) على حدته ، وحرصوه على سد عورته ، بلغ ذلك كله سيدنا — أيده الله — وصح عنده خبرهم ، وشاع في الناس مخالفتهم ^(٣) ، ارتحل ونزل عليهم ^(٤) والمسافة بينهم وبين « أم الضلوع » ثلاث ساعات ، فعندما وصل إلى منزل « المحلة » ^(٥) ، وذلك بقرب المدينة بنحو الميل من الجهة الغربية ، ترك الناس يبنون أخبيتهم وتقدم ينظر المدينة ^(٦) ، وكان معه بعض العسكر . فصعد العسكر إلى الجبل ، وهذا الجبل متصل بالمدينة ^(٧) من الجهة الغربية والشرقية ، دون الجوف والقبلة . وحيث وصل العسكر إلى الموضع الذي يمكن منه الرمي ^(٨) ، جعلوا يرمون على المدينة بالرصاص ، ورماهم « الطيحي » صاحب المدفع بنحو ثلاثة أو أربعة مدافع . وحين تأمل سيدنا المدينة ، وميز سهلها ووعرها ، أمر من كان معه من العسكر أن يرجع إلى منزله وتحقق أن يدخلها ^(٩) . لأنه — أطال الله بقاءه — كان له فطنة زائدة ، وتجربة صادقة ^(١٠) مع ما هو عليه ممارسة الحروب ، وفهمه لما ترمزه العيون ^(١١) ، وما تضمنه الجيوب ^(١٢) . وأما

(١) نخ : « فيها لكثرة وبالها » .

(٢) كل صنف : من رجال أهل البلاد وأناتهم .

(٣) نخ : « مخالفتهم وجسرهم » . (٤) نخ : « ونزل بالثبات » .

(٥) نخ : « المحلة بالحلية » . (٦) ينظر المدينة : يطلع عليها .

(٧) نخ : « لسكونه متصل بالمدينة ، وقد اكتنفها اكتتاف الوصلة » .

(٨) نخ : « الرمي المفازع » . (٩) نخ : « يدخلها ويزيل أثرها » .

(١٠) نخ : « صادقة غير جائدة » . (١١) نخ : « العين » .

(١٢) الجيوب : الصدور .

ثبوت الجنان ^(١) والشجاعة ^(٢) فشئ تحار فيه العقول وتقصّر عنه العبارة .
 هذا وقد رجع إلى « محلته » ، وجمع كبراء قومه وأرباب دولته ،
 واختبرهم في كيفية قتالهم ، لينظر ^(٣) سيدنا رأى القوم ، ويدفع بمشاورتهم
 عنه اللوم . فوجد الكل متفقين على رؤية ومسلمين أمرهم إليه . فقال لهم
 — عند ذلك ^(٤) — : إن هذه المدينة قد أحيطت بها البساتين والأبراج .
 وبساتينها كلها مدورة ^(٥) بالسور . فحيطانها متراكمة وأسوارها متخالفة
 متكاثرة . ولو كان سور واحدة ^(٦) لم يردنا ، أو اثنين ^(٧) ، أو ثلاثة لم
 يضرنا ، ولكن أسوارها مشتبكة ، بعضها خلف بعض ، فلا بد أن تجمعوا
 خدامكم ومواليكم ، الذين لا سلاح لهم ، يحملون بأيديهم « الفيسان » ^(٨)
 ويذهبون مع العسكر ^(٩) .

فكلما وصل العسكر الحائط من تلك الحيطان ، أو برج من تلك الأبراج ^(١٠)
 يركبه أصحاب الفيسان بالهدم حتى يجعلوا فيه طريقاً للعسكر . ثم يجاوزونه إلى
 الحائط [الذى] ^(١١) خلفه ^(١٢) . وهكذا حتى ينفذوا إلى المدينة ، أو يقاربوها ^(١٣)

-
- (١) أى : ثبيت القلب . (٢) نخ : « والشجاعة المطارة » .
 (٣) لينظر : ليختبر ، ويسبر . (٤) نخ : « عند ذلك قوله المشكور » .
 (٥) مدورة : محاطة .
 (٦) فى جميع النسخ : « سوراً واحداً ، والتصويب من قلبنا .
 (٧) فى جميع النسخ : « اثنين ، والتصويب من قلبنا .
 (٨) الفيسان : لغة أقليمية فى أفوس ، وفؤوس .
 (٩) نخ : « مع العسكر بالمحض » . (١٠) نخ : « الابراج بالبنيان » .
 (١١) الزيادة من نخ . نر . (١٢) نخ : « خلفه فى المشتهو » .
 (١٣) نخ : « أو يقاربوها التباه » .

هكذا نفعل — إن شاء الله — ! فلما أصبح الله بخير الصباح ، أمر الناس أن يستقوا دوابهم ، ويقضوا مآربهم أول النهار ، وأبى عن القتال في ذلك اليوم ، لأنه كان يوم الجمعة^(١) ، فلما استقصت الناس ، وقضت حوائجها بعث لأهل الفيسان^(٢) أن يأخذوا فيسانهم وأمر العسكر أن يذهبوا معهم^(٣) ، وأوصاهم على الأشجار والنخيل ، فلا يقطعون شيئاً منها^(٤) . ومن قطع شجرة أو نخلة ، قاله حسيبه . ومتولى الانتقام منه . وأمر عسكر الترك أن يقصدوا^(٥) الجبل ، مكانهم بالأمس^(٦) وباقى الطوائف أن يحدقوا بالبساتين من الجهة الغربية والجهة البحرية ، ويكون معهم أصحاب الفيسان^(٧) ، ليهدموا الحيطان التي في طرقهم^(٨) الحائلة بينهم وبين المدينة ، وأوصاهم — أيضاً — بأن لا يقصدوا المدينة في هذا اليوم ، وإنما اشتغلوا بتوسيع طريقها ، وقطع جناحها حتى إننا إذا حملنا عليها بعد اليوم ، لم نجد ما يشغلنا عن قتالهم^(٩) . فتوتهم في هذه الحيطان فلا تقصروا عن نقضها . ثم عين لكل قبيلة موضعها^(١٠) ولكل

(١) نخ : « جمعة الأبرار » .

(٢) نخ . نر : البستان .

(٣) نخ . معهم بطانهم

(٤) نخ . نر : « فلا يقطع شيئاً منه » .

(٥) نخ : « يقصوا » .

(٦) نخ : « بالأمس بالخدمة الكلية » .

(٧) نخ : « الفيسان بالتعيين » .

(٨) نخ : « طرقهم » .

(٩) نخ : قتالهم بمحضها .

(١٠) نخ : « موضعها وحوزها » .

طائفة مركزها . فكانت « الزمالة » ^(١) أسفل الجبل ، من الجهة القبليّة .
والترك عن يسارهم في قنة الجبل المتصل بالمدينة ^(٢) . وعن يسار الترك المدافع
في أسفل الجبل من الجهة الغربية قبالة باب المدينة من المقابر ، وعن يسار المدافع
من الجهة الغربية — أيضاً — الدوائر ^(٣) ، وعن يسارهم من الجهة البحرية
مخزن الشرق ^(٤) ، هكذا عينهم سيدنا — أيده الله !

فما استتم كلامه حتى انهمل العسكر كالسيل وتراكم كقطع الليل ، واتبع
كل واحد رايته وقصد كل مقاتل جهته ، التي عينت له ^(٥) ، وارتفع النهار ،
وكثر الغبار ، وحمل كل واحد على ما يليه ^(٦) ، فلم يكن غير ساعة حتى باغوا
إليهم ، وخاطوهم في جناتهم وحيطانهم . فجعلوا كلما مروا ببستان إلا وهدوه
هذا وخرت حيطانه إلى الأرض سجداً .

ولما رأت أهل المدينة أن العذاب قد أحيط بهم ، والبلاء نزل بساحهم ^(٧)

(١) الزمالة : هم طائفة من « المخزن » الغربي الذي يضم نجع « الدوائر »
و « الزمالة » و « الغرابة » و « البرجية » .

وأما « المخزن » الشرقي فإنه يضم نجع « المكاحلية » و « أولاد سيدي عربي »
و « صبيح » ، و « أولاد العباس » ، وغيرهم من أهل النواحي الشرقية من
« مينا أشلف » .

(٢) نخ : « بالمدينة المبلية » .

(٣) الدوائر هم إخوة البرجية ، وكانت رئاسة المخزن متداولة بين هؤلاء . وأولئك
أيام الأتراك ، ومن « الدوائر » تفرعت عائلة « البحايشية » التي ينتسب إليها مصطفى
ابن اسماعيل ، صديق فرنسا ، وعدو الأمير الحاج عبد القادر .

(٤) نخ : « مخزن الشرق بلا اشتباه » .

(٥) نخ : « له وناحيته » .

(٦) فخ : « ما يليه لنيل ميطنهم » .

(٧) نخ : « بساحتهم وبهم » .

علموا أنه سيصلهم ويستأصلهم (١). فجالوا يمينًا وشمالًا ، وتزحزحوا عن مواضعهم ، ولحق أولهم بأخرهم . ثم انكشفوا وركب ظهورهم العسكر ، يقتلونهم كيف شاءوا وحيث شاءوا ، وأين شاءوا . وقبضوا منهم جماعة ، فأتوا بهم أسارى ، وحال بينهم وبين البغاة (٢) كثرة الحيطان (٣) . فكانوا مهما نقضوا حائطاً وطلبوهم خلفه ، إلا وجدوهم تأخروا من ذلك الموضع (٤) وتحصنوا من وراء حائط بعده (٥) ، حتى قيل إنهم هدموا أكثر من خمسين حائطاً .

وقد كلت أصحاب « الفيسان » من الهدم ، وقد قربوا من المدينة (٦) ولم يبق بينهم وبينها إلى سور واحد ، فرجعت الناس وقد ظهر لهم النصر ، وبأن لهم الفتح والظفر . ولو كان لهم اذن في الدخول في ذلك اليوم ، لدخلوها (٧) ، فله در الدوائر في ذلك اليوم ، لقد أبلا بلاء حسنا . وكذلك كل من كان في تلك الجهة نحوهم (٨) .

فشكل ثقل الحرب عليهم . وهذا كله بمنظر سيدنا ومسمعه (٩) ، ولذلك

(١) نخ : « ويستأصلهم ويذهب بمفاخرهم » .

(٢) في جميع النسخ : « البغاة ، والتصويب من قلبننا .

(٣) نخ : « الحيطان وصيروهم حيارى » .

(٤) نخ : « الموضع لما خلفه » .

(٥) نخ : « بعده حائطاً » .

(٦) نخ : « من المدينة محل الموارد » .

(٧) نخ : « لدخلوها غبنا » .

(٨) نخ : « نحوهم وانتمى إليهم » .

(٩) نخ : « ومسمعه باشتار » .

حين رآهم قربوا من المدينة — وقد مضى النهار — خاف على العسكر أن يدخل المدينة (١) وقد أقبل الليل فلم يتم مراده، وربما كانت للعدو بذلك فرصة، لأن له خبرة ببلده (٢)، فبعث بعض خدامه أن يأمرؤا العسكر بالرجوع (٣) فرجعوا. وانفصل القتال، وقد أصيب من « بنى الأغواط » وأحلافهم (٤) ما يزيد على ستين رجلا ما بين قتيل وجريح، وأحد (٥) عشر أسيراً. وحيث رأت الأحزاب ما حل بهم (٦) علموا أنهم سيهلكون عن آخرهم، ولا قدرة لهم على مطاردتهم يوم آخر (٧)، [بل] لا يطيقون (٨) على ساعة واحدة (٩)، واشتد خوفهم، وزاد رعبهم، وتفرقوا جماعات، كل جماعة رجعت لأهلها، وعمدت نحو وطنهم (١٠)، وبعضهم مضى على وجهه حين الهزيمة، فلم يرجع ولم يلتفت إلى المدينة (١١) هذا لمن كان منهم بغير أهل ومال. وأما من كان منهم بأهله (١٢)

(١) نخ : « المدينة واشتد مجاهده » .

(٢) نخ : « ببلده وتحل بجيشه نقصة » .

(٣) نخ : « بالرجوع لضيق الحال » .

(٤) نخ : « وأحلافهم شهيروا » .

(٥) نخ : « وإحدى » .

(٦) نخ : « بهم بمنأى كرمهم » .

(٧) نخ : « مطاردة يوم آخر » .

(٨) نخ : « ولا يطيقون » .

(٩) « واحدة في يوم آخر » .

(١٠) نخ : « وطنها طالبة للنجات » .

(١١) « المدينة بالعزيمة » .

(١٢) نخ : « بأهله وخشى من وبائه » .

بقى حتى غشيه الليل ، وستره الظلام ، فحملوا أمتعتهم وأهلهم وهربوا (١) ولم يبق منهم الا الجريح الذى لا قدرة له على المشى (٢) .

وحكى أنه مات منهم فى اليوم الأول — حين رماهم عسكر الترك (٣) ستة (٤) رجال وامرأة كانت تحرضهم فأصابها رمية غلطا .

وحين رجع العسكر صار يحرض بعضهم بعضا . وأوجبوا دخول المدينة على أنفسهم ، وجعلوه فرضا . ثم أنه حين رجع ، قدم جميع عسكرة أمامه ، وتأخر فيمن كان حشمه وخدامه ، بعدما تحقق أنه سيظفر بها لا محالة (٥) . ثم تفكر فى عاقبة هذه البلاد ، وما تصير اليه ويحل بها من الفساد . وبها العلماء الذين حصه الله فيهم خشيته ، وواعدهم على ذلك (٦) جنته ، ووصفهم بأخيار (٧) البرية ، وفى رضاه بشهادتهم عليه أعظم (٨) مزية .

أراد أن يحذرهم ، وينذرهم ، ويعلمهم بما لديه . وسأل الله أن لا يحصل هلاك واحد منهم على يديه . كتب لهم كتابا : « بعد الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، إلى كافة علماء « بنى الأغواط » ، بعد السلام عليكم ، ورحمة الله : إن بلغكم كتابى هذا اخرجوا غدا عيالكم وأولادكم « من هذه القرية

(١) نخ : « وهربوا فى الظلام ،

(٢) نخ : « لا يستطيع على مشى الصحيح ، .

(٣) نخ : « حين رماهم الترك رميا شططا ،

(٤) فى جميع النسخ : « ست ، . والتصويب من قلبنا

(٥) نخ : « لا محالة ، وتصير جيوشه فيها جولة ، .

(٦) اسم الاشارة يعود على « خشيته ، .

(٧) فى جميع النسخ : « بخير ، . والتصويب من قلبنا .

(٨) نخ : « أحسن ، .

الظالم أهلها » وانحازوا خارج المدينة إلى جهة ، وعليكم أمان الله . وإن خفتم من بعض العسكر أن يوقع بكم ، وكلت بكم من يحرسكم . ولا تحتلطوا بالقوم ، التي أراد الله هلاكها . فإن قبلتم النصيحة فاحذروا الفضيحة . وإن أبيتم . فإنهم أولادكم عليكم . والسلام » .

وختم الكتاب ودفعه إلى الرسول . فعندما وصلهم ذلك الرسول . وجدهم في حيرة وكربة ، وقد هربت عنهم الأعراب الذين كانوا محاصرين معهم ، وكذلك من خف حمله منهم . وبقوا متحيرين لا يعلمون ^(١) ما يصنعون ، ولا أين يتوجهون ، وأحدقوا بالرسول [يسألونه] ^(٢) ، وهو راغب عنهم ، وجعلوا يقبلون يده ^(٣) حتى كثر الزحام على تقبيل يد . مع أنهم كانوا لا يعنون به ولا يلتفتون إليه .

فلما أخذوا منه الكتاب ، وفتحوه ، وقبلوه ، بعد ما على الجبين وضعوه ، ألقوه مخصوصاً بالعلماء ، ومقصوداً بمن كان منهم بصيراً لا من به العمى ^(٤) . فبهتهم ^(٥) ذلك لفضل الملك وحله ^(٦) . ودلهم على مرغبتهم في العلم وأهله ، وحبه للخير وفعله . وانسكبوا على الرسول والعلماء ، وتمسكوا بهم ، وقالوا :

-
- (١) نخ : « لا يعلم » .
 (٢) الزيادة من نخ . نر .
 (٣) نخ : « يده كأنه منهم » .
 (٤) نخ . نر : (عمى)
 (٥) نخ . نر : « فبهتهم » .
 (٦) نخ : « وحله وعدله » .

لا نجاة لنا إن لم ترحمونا ^(١) ، وتوجه ^(٢) بجاهكم وكتبكم فينا ، فذنبنا أعظم من أن يغفر ، ويميتنا - حقيق - أن لا تسكف . ولكن لا بد أن يكون لنا جاهكم شفيعا ، و [أن] ^(٣) تذكروا سيدنا بقول الله : « ومن أحيانا ، فكانما أحيانا الناس جميعا » ^(٤) .

وها هو ما قد جهمناه لكم . ولكم المنة علينا . وأن أيتم أن تشفعوا لنا ، فلا نترككم تخرجون ^(٥) من بين أظهرنا ، حتى تهلكوا معنا .

فأخذ العلماء كتاب صحيح البخاري ^(٦) - رضى الله عنه - وقدموا على سيدنا [وسلموا عليه] ^(٧) فأعاد عليهم القول في نصيحتهم وشفقته عليهم ^(٨) . فتكلم رجل منهم فصيح اللسان ثابت الجنان ، له معرفة بطريق السلوك ، واقتدار على ما يخاطب به الملوك . وكان شاعرا فمدح سيدنا بأبيات ، وقبل الأرض بين يديه ، ودعا له بالنصر والتسكين والعز والفتح المبين ، وشكر فعله ، وقبل نصحه وقوله ، وقال له :

يا سيدي إن جعلتنا عتقاءك : فامنن على هؤلاء القوم ^(٩) ، واجعلهم أرقاءك ،

(١) نخ : « ترحمونا يمينيا » .

(٢) في جميع النسخ : « وتوجهوا » . والتصويب من قلبنا .

(٣) الزيادة من قلبنا لمناسبة سياق الكلام .

(٤) سورة المائدة ، الآية (٢٢) .

(٥) في جميع النسخ : « نخرج » . والتصويب من قلبنا .

(٦) نخ . نر : « سيدى البخارى » .

(٧) الزيادة من نخ . نر .

(٨) نخ : « وشفقهم عليهم ولم يرض بفطيتهم » .

(٩) نخ : « القوم لله تعالى » .

وادخر أجر عفوهم ^(١) عند الله تعالى ، ولا تخفر ذمة ^(٢) من جاءك شفيعاً ،
ولا تفضحوه . « وما تفعلوا من خير فلن تكفروه » . ^(٣) وإن شئتم : يخرجون
من البلاد بأنفسهم خاصة وهى لك بما فيها ^(٤) . فأعرض عن مقاتلهم ، وقال
لهم : لا بد من قتالهم . ثم أمرهم بالقيام من عنده ^(٥) ، ولم يجبههم على ما طلبوه
بكلمة من لفظه . فخرجوا من عنده مسرعين ، وطلبوا ^(٦) الخليفة مهرولين ،
فدلهم عليه بعض خدامه ، وعينه لهم فى مكانه ^(٧) ، فاستأذنوا عليه فى الدخول
بمنزله ^(٨) ، وأرادوا أن يشفع لهم بوجهه ولفظه ، واعتذر لهم وأرجعوه فى ذلك
حتى وعدمهم ، بعد أن أوعدهم ^(٩) . ثم بينوا له ما يعلم به الساطان ، وأنهم
يدفعون مائة خادم ^(١٠) ، وخسة آلاف ريال بوجه ، ومائتين وخسين بعيراً
كلها مختارة من خيار كسب العرب ^(١١) وأربعة ^(١٢) أفراس من عتاق الخيل ،

(١) هكذا فى جميع النسخ د ولعله : د عفوكم عنهم ، ؟ .

(٢) نخ : د ولا تخفر ذمة . د وخفر الذمة : نقض العهد .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١١٥) .

(٤) نخ : د وهى بما لك فيها قاصة .

(٥) نخ : د من عنده بلحظه .

(٦) الخليفة : السيد محمد بن عبد الله .

(٧) نخ : د فى مكانه ومقامه .

(٨) نخ : د بمنزله فى حفظه .

(٩) أو عدمهم : تهددهم .

(١٠) نخ د مائة خادم من الوصفان .

(١١) نخ : د العرب باحتكام .

(١٢) أربعة : روعى فيه اللفظ . لأن الفرس مؤنثة .

وما تئى ثوب . هذا زائد على القدر الذى [نعطيه إياه] ^(١) فى كل عام . ففى
إليه وأعلمه بهذا كله ، وسأله أن يقبل منهم ، ويعفو ^(٢) عنهم ، فحيث رآه سيدفا
حريصا على هذا الأمر استحى أن يرده خائبا ^(٣) ، لعلمه أنه نصيح فى خدمته
وخليفة فى أكثر وطنه . فقال له : الأمر إليك والخير طريقه عليك . فافعل معهم
ما أردت ^(٤) . فخرج من عنده والبشرى تترأى ^(٥) فى وجهه . فبشر العلماء
بالعفو عن قومهم ، وقبول سيدنا بما فى رأيهم ^(٦) . فطنق يدعو ^(٧) أولئك
العلماء كلهم ^(٨) لسيدنا ولأن كان لهم سبباً فى رضاه بما يرجو من الله قبوله .
ثم قاموا من عنده ودخلوا على سيدنا ^(٩) ، وطلبوا منه أن يكتب لهم بالأمان
والرضى بالعاء ، وأن يسمى لهم العدد ، الذى يعطونه ^(١٠) ، على الدوام ،
ويستحق فيهم بمدور السنين والأيام . فامتنع من الكتابة ، وقال لهم ، أن أنيتم
اليوم بما ذكرتم ، أو تدفعوا منه ما قدرتم ، والباقي تعطون فيه رهائن ^(١١)

(١) فى جميع النسخ : « نعطوه » . والتصويب من قلبنا .

(٢) نج . نر : « يعف » .

(٣) فخ : « خائبا من منه » .

(٤) فخ : « ما أردت ، ولا مرد لما قصدت » .

(٥) فخ : « تقرأ » .

(٦) نج . نر : « لرهم » .

(٧) فى جميع النسخ : « فطفقوا يدعون » . والتصويب من قلبنا .

(٨) فخ : « كلهم لما رأوا قبوله » .

(٩) فخ : « على سيدنا وهم بسطا » .

(١٠) فى جميع النسخ : « يعطوه » . والتصويب من قلبنا .

(١١) فخ : « إلى هائن » .

من أبناء كبرائكم ومشائخكم^(١)، وإلا لم يكن لكم عندى أمان، وكلامى هو كتابى. فانصرفوا راشدين^(٢)، وقد تركت لكم ما نثى ثوب، حبًا وكرامة لكم، فزادهم فعله ذلك إكرامًا، وشكروا صنيعه. ولم يبق عليه ملامًا، فرجعوا لأهلهم مبشرين ولما فدوهم به جامعين. فلم يكن وقت العصر حتى أتوا بالخليل، وعشرين خادما، وشيئا من العروض^(٣) وقالوا: نريد «الخلاصين»^(٤) الذين كانوا عندنا أن يرجعوا إلينا. فبعثهم معهم فى تلك الساعة، وبالقد شرعوا فى دفع القضة، والدراهم، والعروض. ومضوا يومهم كله يدفعون^(٥). وحيث اطمانت أنفسهم وتحققوا الأمان لديه، جاءت كبراؤهم وأعيانهم، ليدفع كل واحد ما عليه. ثم عين لهم ستة من كبرائهم الذين يأتون بأبنائهم، يكونون رهنا تحت يديه، فامثلوا لأمره، واستمعوا لقوله. فلم يكن ساعة، إلا وقد أتوا بكل من عينه لهم، وطلبوه أن يرتحل عنهم، ويخلف من يأخذ منهم، ويبقى رهاثهم تحت يده، فوافقهم فيما رغبوه، وأجابهم لما طلبوه، لشؤم بلادهم، وقبح أرضهم.

فماؤها حميم، وغبارها عميم، فلا توافق كل ذى طبع سليم. فمهما هب ريح ولو نسيم الصبا، إلا وارتفع منها غبار عظيم، وأظلمت منه الأرض،

(١) نخ: «ومشائخكم فافهموا خطاى»

(٢) نخ: «راشدين وارجعوا لأهلكم»

(٣) نخ: نخ: «من العروض بالاستطاعة»

(٤) الخلاصين: كلمة إقليمية فى الحياة.

(٥) نخ: «يدفعون للمقوم والنضوض»

وامتلاؤه الجو طولا وعرضا (١). ومع ذلك أنه لا نبات فيها (٢) تعيش به الدواب ولا شجر بساحتها يكون منه الاحتطاب . وهذا يوجب الانتقال منها ، والتباعد عنها . فوعدهم بالارتحال على أن يأتوا له بما بقي عليهم في « عين ماضى » ، أو قبل أن يصلها . (٣) فاتفقوا على ذلك ، وخلف الخلاصة (٤) ، وأصبح يوم الاثنين مرتحلا عنهم ، وأخذ معه أبناء كبرائهم ، الذين وضعوهم رهنا ، وكذلك رجالهم الذين أسروا ، وقد كان أطلق منهم رجلين : أحدهما مداح ، والآخر مجروح ، ففضل عليهما (٥). وأما البافون ، فطلب أهلهم فيهم الفدا ، كل واحد على قدر طاقته ، فقبل منهم ذلك ، وأمرهم بالعجلة في دفع ما بقي عليهم (٦) ، وكذلك الذى يفتدون (٧) به رجالهم (٨) . ومن جملة ما أمرهم به أن بعض الخليل سرقت (٩) من عسكره ، وأن الذى سرقها (١٠) لمن الإعراب ، أحلافهم . وأن يردوها ، ويأتوا بها (١١) ، وإلا

-
- (١) نخ : « ولعرض » . نج . نر : « وعرض » ، والتصويب من قلنا .
 (٢) نج . نر : « بقرها » .
 (٣) نخ : « أن يصلها فليتحروا » .
 (٤) الخلاصة : المختارين من الجيش لاستخلاص الجباية .
 (٥) نخ : « ففضل عليهما إلى أن صار هو الممدوح » .
 (٦) نخ : « عليهم لرواج بضاعته » .
 (٧) في جميع النسخ : « يفتدوا » . والتصويب من قلنا .
 (٨) نخ : « رجالهم عن إحسانهم » .
 (٩) في جميع النسخ : « سرقوا » . والتصويب من قلنا .
 (١٠) في جميع النسخ : « سرقهم » . والتصويب من قلنا .
 (١١) في جميع النسخ : « أن يردوهم ، ويأتوا بهم » ، والتصويب من قلنا .

لم تسكن فدية في إخوانهم . ثم مضى حتى نزل « الرشق » ، وهو أسفل الواد الذي ينزل من « أم الصلوع » ^(١) وغاية سيره من « بني الأغواط إلى « الرشق » ثلاث ساعات ، قاصداً « عين ماضى » . ولما نزل أتوه أهل « تاجموت » ^(٢) ، واستشاروه ^(٣) : هل يأتون ^(٤) له بالعطف في هذه الدار ، أو حتى ينزل عليهم . فقال لهم : لا نزل عليكم لأنى أن نزلت عليكم أخف ^(٥) أن يضركم الجيش ^(٦) ، فإن أردتم أن تدفعوا على أنفسكم هذه الكلفة فدلونا على منزل بعيد منكم ^(٧) . وأما العلف فلا تحملوا أنفسكم بشيء . فقالوا : لا بد من ذلك . فحيث رأى حرصهم وعزمهم على ما أرادوا ، أذن لهم في أن يأتوا بثلاثين حملاً فقط ، ولا يزيدون عليها شيئاً ^(٨) ، وأعطاهم الإبل التي يحملونها عليها ، وأوصاهم أن يأتوا بذلك في المنزل « الذى تعرفونه بعيداً عنكم » فدعوا له وشكروا فضله وفعله ، وبعثوا له منزلاً يليق به قريباً من « عين ماضى » . وانصرفوا بالإبل ^(٩) ، وتركوا منهم واحداً يكون دليلاً على المنزل الذى نعموه وعينوه . وبالغد ارتحل ونزل على أربع

(١) نخ : « أم الصلوع — بصاد مهملة — بالتماضى » .

(٢) نخ : « أهل تاودموت » .

(٣) في جميع النسخ : « واستأشروه » . والتصويب من قلمنا .

(٤) في جميع النسخ : « يأتوا » . والتصويب من قلمنا .

(٥) في جميع النسخ : « أخاف » . والتصويب من قلمنا .

(٦) نخ : « الجيش فما إليهم » .

(٧) نخ : « منكم في ذلك » .

(٨) نخ : « شيئاً فيضركم » .

(٩) نخ : « بالإبل ليأتوا بما بينوه » .

سوانح (١) في موضع متوسط بين « عين ماضي » و « تاجوت وأمسناج »^٤
إلا أنه إلى « تاجوت » (٣) أقرب: يقال له « أمسناج » ، وهو موضع منبسط ،
ذو مياه وعشب (٤) ، إلا أن (٥) ماءه بعضه أفضل من البعض . ولما نزلت
« الحلة » أهرعت الناس إلى « تاجوت » (٦) ، منهم بائع ، ومنهم مشتر (٧).
وبعث معهم شواشه يمنعون الناس ظلم (٨) أهل المدينة . وقد حصل لأهل
البلد ربح كثير ، وفائدة عظيمة ، حتى أنهم لو وجدوا نزل عليهم كل سنة ، بل
كل شهر (٩) ولا يضرهم ما يدفعون له (١٠) يجبران ذلك بالربح ، الذي حصل
لهم . فكانوا يشترون من « الحازنية » : الغنم ، ثمانية رؤوس بريال
بوجه (١١) ، والبقرة أربعة رؤوس بريال بوجه (١٢). ومع ذلك (١٣) لم يدفعوا

-
- (١) سوانح : قد أشرنا فيما مضى إلى هذا الجمع ومخالفته للقياس الصرفي .
(٢) نخ : « تاودموت وأمداج » .
(٣) نخ : « تاودموت » .
(٤) نخ : « ذا مياه وعشب بالارض » .
(٥) نخ : « أنه » .
(٦) نخ : « تاودموت » .
(٧) نخ : « مشترى للثمينه » .
(٨) نخ : « من ظلمهم أهل المدينة » .
(٩) نخ : « كل شهر ، وتبقى جيوشه عندهم مقيمة » .
(١٠) نخ : « له من المغمرم » .
(١١، ١٢) نخ : « بوجه » . و « ريال بوجه » صرف جزائري قديم يساوي
فرنكا وستين سنتيما تقريبا .
(١٣) نخ : « ولم ذلك » .

لهم ديناراً ولا درهما (١) ، وإنما يدفعون لهم « البرانيس » (٢) والحياك ؛ وربما دفعوا لهم من التمر ، حتى أن الرجل منهم يأتي بالبرنوس (٣) الرديء ، والحياك ، فيأخذ عدة رؤوس من البقر والغنم (٤) . وحيث رأى الناس لم تنزل في قضاء حوائجها ، ولم تستقم من مأربها ، أصبح مقيماً ليعضوا غرضهم ويكملوا مرادهم ، وركب هو يتصيد كما كانت عاداته في كل يوم منذ وصل (٥) أما كن الصيد (٦) ، وخصوصاً الجبارى ، التى هى أعظم مصيده ، وأفضل مرغوبه ، وتفضيل هذا الصنف من المصيد بلغ عنان السماء ، وأكثر من حديثه العلماء والأدباء . فتراهم تارة يذكرون حسنه (٧) ، وتارة يصفون رسل الطير عليه وخوفه ، حتى أنهم قالوا : سلحه سلاحه ، وسببه جناحه . وما ذلك إلا لشدة اعتنائهم به (٨) أكثر من اعتنائهم بغيره . ومن شهد ذلك استحسنهم فيما قالوه ، وأعذرهم فيما استمالوه . وقد اجتمع عنده من الطيور الحسان ، المختلفة في الأشكال والألوان

(١) نخ : « أولاً درهما للجبر » .

(٢) فى جميع النسخ : « البرانيس » . والتصويب من قلمنا . والبرونوس ،

أو البرنس : ثوب يندسج من صوف أو وبر ، له « إسكيم » يغطى به

الرأس شتاء ، وهو من البسة الجزائريين الذين يقطنون المناطق

الباردة ، كما أنه شعار البرابرة (القبائل) :

(٣) نخ : « بالبرنوس » .

(٤) نخ : « والغنم فى ذلك » .

(٥) نخ : « دخل » .

(٦) نخ : « الصيد المطلوبه » .

(٧) نخ : « حسنه وجوفه » .

(٨) نخ : « به وخيره » .

ما لم يجمع عند غيره من الملوك^(١) فكانت ترد عليه من كل مكان ، فيقبلها ويجازى عليها الجزاء الكثير ، الذى أوجب جلبها^(٢) . فلما كثرت عنده صائر يختار العوارم^(٣) ويقدمها ويفضلها على غيرها^(٤) . وحق لهذا الصنف التقديم والتفضيل^(٥) ، فله غرة زائدة على غيره من أصناف الصقور ، لأن الصقر نوع وتحتة أصناف كثيرة^(٦) ، إلا أن بعضها أفضل من بعض فى الصبر والإقدام وغير ذلك . ومن فاته مشاهدتها ، ولم يحظ بنزعتها حين رسلها^(٧) ، فعليه « بمقصورة الأسد » وقصيدة الفجيجى^(٨) : فقد ذكر أن من أوصاف الطير وأصنافه والادسطياد به^(٩) ما يبرد الغليل ويبرى العليل . وبعد الامتحان ، يكرم المرء أو يهان ، وليس الخبر كالعيان . وقد أحسن الفجيجى ، حيث قال^(١٠) :

-
- (١) نبح : « من الملوك ، ولا رأها أحد من الغنى والصعلوك » .
 (٢) نبح : « جلبها بالعيان » .
 (٣) العوارم : الجوراح المقترسه كالباز .
 (٤) نبح : « على غيرها بالصوارم » .
 (٥) نبح : « والتفضيل على الطيور » .
 (٦) نبح : « كثيرة لذلك » .
 (٧) نبح : « رسلها وغاب عنه معاهدتها » .
 (٨) هو ابراهيم بن عبد الجبار الفجيجى ، توفى ببلاد السودان فى أواخر القرن التاسع الهجرى ، وقصيدته هذه تسمى « الفريد فى تقييد الشريد وترصيد الوليد » . وهى كلها فى الصيد توجد مع شرحها مخطوطا فى « برلين » . وتوجد — أيضا — نسخة خطية بمسكتبة الجزائر ، تحت رقم (١٥٠٩)
 (٩) نبح : « والاصطياد به حال التفجيجى » .
 (١٠) أى على وزن البحر الطويل ، المقبوض العروض والضرب معا .

أخى هل ترى الأيام تجمع شملنا ونحن على جرد سراع نطالع (١)
 لدى كل ربوة وأجراس طيرنا لها زجل من فوقنا وقعاقع (٢)
 وكانت شيمة سيدنا كقوله :
 فأصبح سلماً للورى يطأ الثرى وتنظره فوق الثريا القنابع (٣)
 ولو حضرني شارح « السلوانية » (٤) ، جلبت منه ما يناسب المقام ،
 ولكن لم يحضرني ، لأنني قيدت هذه الأوراق في أثناء السفر ، ولم تصحبني
 كتب في هذا المعنى أستعين بها ، ولا قوة حفظ نعول عليها ، وربما كان
 حذفه وعدم جلبه أليق بغرضنا ، لأنه يؤدي إلى الخروج على (٥) ما نحن
 بصددده . وهذه الإشارة — هناك — كافية (٦) .

ثم أصبح مرتحلاً قاصداً « عين ماضى » ، فوصلها في ثلاث ساعات .
 فلما رأوا أهلها خيله قد طلعت ، وبنوده قد أقبلت ، فزعت قلوبهم ، وطاشت
 عقولهم ، وغلقوا الديار ، وعلوا الأسوار وهم مصرخون ، وبانطاعة وطلب
 الشريعة معلنون . فزات « المحلة » بقرب السور ، بنحو المائة ذراع . وكان
 ماؤها الذى يزل من صدر الجبل ويدخل المدينة (٧) شاقاً « المحلة » داخلا

-
- (١) نطالع : ننتظر الصيد ، ونترقب بروزه . ونتطلع إليه .
 (٢) القعاقع : نوع من الغربان ذات لونين : أبيض وأسود . طويلة الذنب .
 مفردتها قمقع وبصح أن يراد بها أصوات الطيور أيضاً .
 (٣) القنابع : جمع قنبع ، كقنفذ : القصير الخسيس .
 (٤) السلوانية : روضة السلوان . وقد شرحها أبو القاسم محمد بن عبد الجبار ،
 المتوفى بفاس سنة ٩١٩ هـ .

- (٥) نخ : عن ،
 (٦) نخ : دكافيات ، .
 (٧) نخ : المدينة للانتفاع ،

من طرفها مما يلي الجبل ، نازلا بين أخبيتها (١) حتى نفذ إلى الطرف الآخر مما يلي المدينة ، وجاوزه إلى المدينة على عادته . ثم أن أهل المدينة مكثوا ساعة ، لا يرى شخصهم ولا يتبين خبرهم وتحير بعض الناس في أمرهم ، حيث رأيهم لم يخرجوا خوفاً أن يتغير السلطان عليهم ، فيوقع بهم . وبعضهم فارع (٢) لتأخرهم ، يريد أن يكون له نصيب في غنيمتهم كاللواتي (٣) قبلهم . فبينما الناس مترددون (٤) في أمرهم ، شاكون في قدومهم ، وإذا بهم خرجوا بنسائهم وعلماهم ، مقدمون النساء أمامهم ، وتلك كانت عادتهم . فلما دخلوا إلى « المحلة » (٥) أمر السلطان من أوقف النساء بمكان بعيد من فسطاطه مستنكبين عن بساطه . وأذن للعلماء في التقدم ، فتقدموا وسلموا عليه ، وسألوه أن يرفق بهم ويشفق من حالهم وأن يعفيهم من القطيعة الأولى التي فرضها عليهم . فإنهم لم يقدروا عليها ولا طاقة لهم بدفعها . فلما سمع كلامهم واستقصى خبرهم أدركته الحنانة والشفقة عليهم ، وجعل لهم « لزمة » (٦) أقل من الأولى ، وأعطى لنسائهم سوار (٧) فضة لكل امرأة منهن (٨) . ورجعوا ، فدخلوا مدينتهم فارحين مستبشرين بما أنعم عليهم السلطان

(١) نخ : « بين أحبيتها ماشيا بصلصلته » .

(٢) في جميع النسخ : « فارحا » ، والتصويب من قبلنا .

(٣) كاللواتي : كالغنائم اللواتي كانت له قبلهم .

(٤) في جميع النسخ : « مترددين » . والتصويب من قبلنا .

(٥) نخ : « دخلوا المحلة » .

(٦) لزمة : ضريبة .

(٧) نخ : « سور » .

(٨) نخ : « منهم الاولى فالاولى » .

واقترضه فضله من تخفيف اللزمة عنهم والأمان (١) . ويوم نزوله على « عين ماضى » قدم أولاد يعقوب ، « القبالة » (٢) بإبلهم وخيلهم التى اشترطها عليهم ، فقبلها منهم . وبالفد أصبحت أهل « عين ماضى » يدفعون قطيعتهم من الخيل والخدام والدرهم ، (٣) فدفعوا جزءاً وكمكوا الباقي فى اليوم الذى بعده . وتعذر عليهم طرف منها . ففضل عليهم بترك خادم وفرس (٤) . وحيث رأوا « المحلة » مقيمة بساحتهم ، قالوا : فهؤلاء لقد قصرنا فى ضيافتهم ، فأخرجوا مائة حمل من الشعير : علف للمحلة (٥) . ثم أقام بها يوم الجمعة منتظرا لقدم « بنى الأغواط » باللزمة (٦) . فقدموا فى ذلك اليوم ، وقد أتوا ببعضها ، فدفعوه (٧) . وذلك خمسة آلاف ريال ، « بوجه » وأربعون خادماً . ورجعوا لإكمال الستين خادماً الباقية من المائة ؛ والمائتين جملاً وخمسين جملاً . وأوعده بأنهم سيعثون أربعة من الخيل التى سرقها (٨) « الخاليف » تصله فى منزله هذا (٩) ، ومابقى من اللزمة (١٠) ، فلم يقدرُوا على لحوقه فى الطريق بها ، وإنما يحملونها جملة إلى « معسكر » (١١) وإن قدرنا على لحوقه فتبارك الله .

(١) نخ : « اللزمة والأمان » .

(٢) القبالة : القلابون ، الساكنون ناحية الجنوب . وكلمة « القبالة » اقلسمية النزعة

(٣) نخ : « والدرهم عدده » .

(٤) نخ : « خادماً وفرساً » . وفى نخ : « خادم وفرس منها » .

(٥) علف للمحلة : أى دواب المحلة ، من خيول وبغال ، وجمال وهلم جرا .

(٦) نخ : « باللازمة » . (٧) نخ : « فدفعوه قادماً » .

(٨) فى جميع النسخ : « سرقهم » ، والتصحيح من قلسنا .

(٩) نخ : « يصلونك فى منزلك هذا عاجلاً .

(١٠) نخ : « اللازمة » .

(١١) أى : إلى مدينة « معسكر » . وفى نخ : « إلى المعسكر بالتحقيق » .

فهم كذلك (١) وإذا نبخيل من « بنى ميزاب » (٢) قد لحقوا إلى « الحلة » وتركوا عسكرهم نازلا على « بنى الأغواط » (٣) طامعين أن ينقض سيدنا صهده مع « بنى الأغواط » ويخرجهم من بلادهم ويسلمها « لبنى ميزاب » (٤) فلم يلتفت لكلامهم ، ولم يسمع لمقالمهم . فلما يتسوامنه وتحققوا أنه غير منقض عهد « بنى الأغواط » سألوا منه أن يجعل بينهم وبينهم (٥) صلحا ، ويأمرهم أن يطلقوا من كان محبوسا عندهم من « بنى ميزاب » (٦) فكتب لـ « بنى الأغواط » كتابا : « أن أطلقوا « بنى ميزاب » الذين حبستم ولا نسرح أحدا من أولادكم ، إلا إذا أتاني كتاب من قبل « بنى ميزاب » : وأنكم سرحتم أولادهم . (٧) وأما الصلح فلا أحكم عليه (٨) فأنتم أعلم بما يصلح بكم والسلام .

وفي هذه الأيام التي كان مقيما على « عين ماضى » ، شرع فى إعطاء الدراهم والدنانير لوجوه قومه وقواد عسكره ومقدمى قبائله ، فلم يبق منهم أحد إلا أعطاه . ولا صاحب خدمة إلا واساه ، ولا ذو نجدة إلا حاباه . ولما فرغ من العطاء الذى لا يرجع إليه ، ولا منفعة له فيه سوى الثناء عليه ، أخذ يعطى للقبائل على وجه الغرض ، المرجو ثوابه — إن شاء الله — يوم الجزاء والعرض . فأعطى لكل قبيلة بقدر حاجتها ، ولكل طائفة على حساب أهلها

(١) نخ : « فهم ذلك فى المخاطبة بالافواه » .

(٢) نخ : « مزاب » .

(٣) نخ : « بنى الاغواط بلا ارياب » .

(٤) نخ : « مزاب » .

(٥) أى : بين بنى ميزاب ، وبنى الاغواط .

(٦) نخ : « مزاب ، وفى نخ : « بنى ميزاب فلحا » .

(٧) نخ : « ولأنكم لا أولادهم سرحتم » .

(٨) نخ : « عليه بالختام » .

فأوصلهم معروفه ، جملة وتفصيلا ، وعمهم فضله ، حقيرا وجليلا ، فأوجب تخليد ذكره بذلك ثناء جميلا .

الحاصل أنه مهما شهد أحد عطاءه في ذلك اليوم إلا جزم بأن نفس غيره من الكرام لا تسمح بمثله ، بل لا تجود بعشر عشرة (١) . ولو نظر عاقل في سيرة غيره من الملوك وتأملها ، وتتبع أحوالهم وتحققها ، مع اطلاعه على سعة ملكهم وقوة سلطانهم ، ونسب ذلك للذي مدح من فعلهم ، لوجده لم يف بقدر مملكته ، ولم يناسب عشر منزلتهم . وهذا أمر لا يخفى على ذى بصيرة ، ولو كان أعمى . وحينئذ ينقلب المدح على سبيلهم ، فيصير في حقهم تنصا وذما . وإن بحث فيه يكون مزاحا وتهكما . وأظهر له الفرق بينهم وبين من ذكرنا بعض شمائله . وطوبىنا محاسنه الظاهرة من معالنه الدالة على فواضله وفضائله . فعلى هذا ، لو استبقوا معه في ميدان الجدل لما سبقوه ، بل لو جعلوا كلهم شق عدل ما وزنوه ولا لحقوه .

ليت شعري هل وجد في زمانهم ! فتجب خدمته وطاعته عليهم . وقد أحسن بعض أدباء العصر ، حيث مدحه بقصيدته الهزلية التي دلت على كمال الممدوح وفصاحة وبلاغة [المادح] (٢) ، التي أولها (٣) :

بدأت بحمد الله في معرض الثنا

وفي الافتحار بهجة وثناء

(١) نخ : د بعشر عشرة بين الأنام .

(٢) الزيادة من نخ .

(٣) هذه القصيدة من البحر الطويل ، المقبوض العروض المخدوف الضرب .

وبعد فان قصدى فى النظم شائع^(١)
 إلى مدح من رأى به البصراء
 ومن خصه الرحمن بالمجد والاعلا
 وحاز الفخار والمعالى سناء
 دعا فأجبتة المعالى مطيعة^(٢)
 وقد كان منها منعة وإباء
 ونافت^(٣) على الآمال آلاؤه التى
 بها الروى طراً غنى واعتناء
 وأتقت له العلواء زماء [فضليها]^(٤)
 فمنها له ما يتغنى ويشاء
 ومن سيبه^(٥) للناس فيض ومرتع
 نعيم كثير دائم ورواء^(٦)
 فإب رمت حصرا فى كماله فارتجم
 فان البحور لم تزلها دلاء

-
- (١) الشطر الأول من البيت مختل الوزن .
 (٢) الشطر الأول من البيت مختل الوزن .
 (٣) « نافت » : زادت .
 (٤) الزيادة من نخ ، والشطر الأول من البيت مختل الوزن .
 (٥) « سيبه » : عطاؤه الجزيل .
 (٦) « ورواء » : الأصل فى الرواء الماء الكثير الذى يروى الظمان ، ويزيل عطشه .

- ولو طار ألف عام الطير مسرعا^(١)
 فما قطعت بحققهن سماء
 ولكن ذا نزر يسير ذكرته
 لتعرف منه جرعة صفياء^(٢)
 وهالك اسمه أن كنت فيه مناقسا
 بأغلى نمن ولا تقل ذا غلاء^(٣)
 فخذ أربعين^(٤) ثم بعد ثمانيا^(٥)
 وكالأولى^(٦) ثم ختمه نصف حاء^(٧)
 ووضفه إلى عثمان قبل وبعده
 كما شئت أن تضيف قبله كناء^(٨)

-
- (١) الشطر الأول من البيت غير موزون .
 (٢) الشطر الثاني من البيت مختل الوزن .
 (٣) الشطر الثاني من البيت غير موزون .
 (٤) « أربعين » : يشير إلى حرف الميم الأولى من كلمة « محمد » فإن الميم تعد بأربعين في حساب الجمل .
 (٥) « ثمانيا » : يشير إلى حرف الحاء من كلمة « محمد » فإنها تعد بثمانية في حساب الجمل .
 (٦) « وكالأولى » : أى كالميم ، ألا أنها تعد بثمانين لأنها مضعفة في كلمة « محمد » .
 (٧) « نصف حاء » : يريد به حرف الدال ، من كلمة « محمد » . لأن حرف الدال يعد بأربعة في الحساب الجمل وهذا العدد بعينه يساوى نصف عدد « الحاء » ، إلى تساوى ثمانية كما تقدم ، والشطر الثاني من البيت غير موزون .
 (٨) « ووضفه إلى عثمان ... الخ » ، أى انسبه إلى أبيه عثمان الكردى ، الذى كان قبله فى الوجود ، وكنيه أن شئت بأبى عثمان ، لأن عثمان اسم لابنه الذى كان =

وَأَكْدَ سَوْلى أَنْ يَدُومَ مَخْلداً

فللدين والدنيا بذاك بقاء

وهى قصيدة طويلة تزيد على الخمسين بيتاً . ولو جمعت ^(١) ما قيل فيه من كلام الشعراء موزوناً وملحوناً لاحتجت ^(٢) فى ذلك إلى عدة أسفار ، ومع ذلك فلتترك الغث منه ونأتى بما هو مختار ، ولكن إن حضرنى شيء من ذلك فيما يأتى لأذكرن بعضه — إن شاء الله — من غير طول .

واعلم أنه لما قضت الناس جميع حوائجها ^(٣) من كسوة وتمر . وتزودوا للعلف وغيره أصبح يوم الأحد مرتحلاً ، وأخذ طريق « رداد » . وهى بين جبلين ، تمر فى مسيل الماء ، إلا أن أسفل الوادى لا ماء به ^(٤) . ثم بعد مسافة تصل إلى الماء وتسير بسيره ^(٥) ، بحيث لا تخرج عنه يمين ولا شمالاً . وإنما صوب الطريق «و مجرى الماء حتى تصعد إلى قرب فم الواد . فسار ست ساعات حتى نزل فم الواد . وهذا الواد ينزل إلى « الغشيا » ، إلا أن ماءه ملح أجاج ^(٦) وأرضه ذات رمل وعجاج . فاستقى دوابه من لم يكن سقيهم من « رداد » . والبعض

وجوده بعد وجود أبيه البلى محمد الكبير ، فإذا سمى عثمان اشترك فيه أبوه عثمان الكردى وابنه عثمان بن محمد الكبير . والشطر الثانى من البيت مختل الوزن غير جار على القياس النحوى .

(١) نج . نر : « جمع » .

(٢) نج . نر : « لاحتاجت » .

(٣) نج : « حوائجها الدالة على خيره » .

(٤) فخ : « لا ماء به وجاء » .

(٥) فخ : « بسيره اتصالاً » .

(٦) أجاج : مر .

ذهب إلى ماء عذب بقرب هذا المنزل بنحو الميل ونصف ، واستقى منه لنفسه وسقى دوابه ^(١) .

وبالغد ارتحل ومر « بالمالح » . فكانت طريقة بطن الواد حتى صعد إلى « عجيبة » ^(٢) وأخذ طريق « المقسم » ، ومر بعده بـ « المكدر » ، وفيه عين ماء جارية على الأبد لا ينقطع ماؤها ^(٣) ، إلا أن ماءها قليل في نفسه ، فلم يكف الجيش الكثير ، فجأوزه حتى نزل « الخير » على ست ساعات . وبهذا المنزل ثلاث عيون ^(٤) ، ومنها « شلف » . وهي أصله كما ذكرنا سابقا ، وقد كانت نزل هذه الدار حيث كان ذاهبا لـ « بنى الأغواط » ، كما سبق مبينا ^(٥) وهذا « الخير » من الأماكن التي لها بال في أرض الإسلام ، من كونه ذا مياه كثيرة وأرض واسعة ^(٦) وجبال مرتفعة ومدن بهيجة متقاربة ، إلا أن بعضها عامر بأهله كـ « قصر العجالة » و « قصر الرحامنة » و « تادمامة » ^(٧) ، وأكثرها قد خرب وبقي أثر البناء دالا على بانيه ^(٨) ، وأعطى [وعظا] ^(٩) لكل من رآه ومناديه : كما حكى : أن سيدنا — عليه السلام — مر بقرية ،

(١) نخ : « دوابه بما يراد » .

(٢) نخ : « عجيبة المحرر » .

(٣) ماؤها بالثبات » .

(٤) نخ : « عيون بعضها لبعض لا حقا » .

(٥) نخ : « مبينا بالأعلام » .

(٦) نخ : « واسعة شهيرة » .

(٧) نخ : « وتادمامة بعبارة متجارية » .

(٨) نخ . « ألا على بنائه » .

(٩) الزيادة من نجدة نر .

قد خربت حصونها ، وجفت أشجارها وأنهارها (١) . فقال مخاطبا لذلك :
يا خراب أين أهلك ؟ (٢) فنودى — عليه السلام — : بادوا وضمتهم الأرض
وعادت أعمالهم قلائد في أعناقهم ، فبكى وانصرف — عليه السلام — .

وهنا أمر مشايخ أعراب تلك النواحي أن يرجع كل واحد لبيته وأن
يكون بارا بأهله ورعيته . وذلك كشيخ « العمور » ، الذى كان قدمه عليهم
وعلى أهل « جبل راشد » (٣) كله ، كما كانت عادة أسلافه من قبله . وكذلك
مشايخ « أولاد يعقوب » « القبالة » وغيرهم . ولم يبق معه إلا « أولاد
خليف » (٤) . والذين سرحهم لم يذهبوا حتى يسأل كل واحد منهم الأمان
لنفسه وأهله ، فيؤمنه على أن لا يكون منه تقصير فى خدمته ولاله
خروج عن رعيته وطاعته ، ويوصيه على أن يدفع « لزمته » فى وقتها ، ويكون
قائما بما لها وما عليها ، ثم يصرفه (٥) . وباتت الناس تتعاطى كؤوس المسرة
والبشرى ، وتتذاكر أن منازلها قربت من الظهراء ، بعد أن كلت أنفسهم
وقرت من الصحراء ، وكثر فرحهم حتى عاد وقت العتمة يتقربون فيه البكر .
فكاد هذا الموضع أن يسمى « بدار الفرحتين » ، المؤذن بقرب البلد
وملتقى الملتين . وحيث برزت للناس أوطانها ، وذهب لغوبها (٦) وعناؤها ،

(١) نخ : « وأنهارها وزالت مدونها » .

(٢) نخ : « أين أهلك ، الخليل والأشهر » .

(٣) جبل راشد : الاسم القديم لـ « جبل عمور » .

(٤) نخ : « أولاد خليف مبدلون لجهدهم وخيرهم » .

(٥) نخ : « يصرفه بنعتها » .

(٦) لغوبها : تعبها الشديد .

أصبح مرتحلاً بمحلته مقتصرًا في منازلہ (١) . فكانت طريقه منحدره مع « وادی سباق » ، فسار أربع سوائع (٢) ونزل « عين وزاحه » (٣) . وبهذا المنزل مدينة ، إلا أنها خالية (٤) . وأصابنا الثلج في الطريق ودام كذلك حتى نزلنا واسترسل حتى غطى السهل والجبل ، وعجز عن مكابذته الفرس الضعيف والجل . ولما حطت الناس رحالها (٥) ، وبنت (٦) أخبيتها وخيامها ، قدمت « الأحرار الشراقية » بالإبل والخيول التي اشترطها عليهم ، فقبلها منهم وعفا عنهم (٧) . وسألوه فيما بقي لهم من الإبل أن يعطوا قيمتها دراهم ، وبيئوا له تلك القيمة وإن وجدوا بعض الخدام (٨) دفعوا في كل ثلاثة من الإبل عبداً أو خادماً . فأجابهم كما طلبوه ورضى عنهم بذلك الذي طلبوه .

ثم أمر بتلك الإبل ، فأحضرت بين يديه وبعث للقياد (٩) أن يكتب كل واحد ما ضاع لقومه من الإبل ويأتون له بالمكاتيب (١٠) ، فحسب كل واحد

(١) نخ : « في منازلہ بالباع » .

(٢) القياس في جمع ساعه ، ساعات وسباع وساع . ولم ندر لماذا خصص المؤلف لفظة « أربع » بهذا الجمع دون غيرها من ألفاظ العدد الأخرى ، فقد أتى فيها بالقياس .

(٣) نخ : « الوزاع » ، نر : « وزجة » .

(٤) نخ : « خالية معلنا » .

(٥) نخ : « رحالها أمامها » .

(٦) نخ : « وبنت » .

(٧) نخ : « وعفا عنهم العفوة الكريمة » .

(٨) نخ : « الخدام صحيحاً لا عادماً » .

(٩) نخ : « للقياد وكبراء القبائل » .

(١٠) نخ : « بالمكاتيب الخالية من الخلائل » .

ما ضاع لقومه وأنزله بالمكاتب ، فدفعها لكتابه ^(١) ، وصاروا يذكرون كل
كل قبيلة ومالها وكل طائفة وما نابها ^(٢) ، وكلما ذكروا قبيلة عين لها حظها
حتى أتى عن آخرهم ، ولم يبق واحد منهم مات له جمل ، إلا أعطاه عوضه ^(٣)
أو أكثر ، ووفى له عدده . ثم سأل على ك ضاع « لحن الشرق » من
الخيل ^(٤) ، فأخبر بذلك ، فأعطاهم تلك الخيل التي قدمت بها « الأحرار » .
فزادهم فعله ذلك إكراماً وإجلالاً وإعظاماً . وقد كان وضعت يد
التجارب في كفه مرآة العواقب ، وتوجهه بتصاريف الدهور ، وعرفته بمصاريف
الأمور . فأرى على ملوك العصر ، بما أربت به الشمس على البدر ، والبر على
النور . وقد قدمت فيما سبق أنى سأذكر شيئاً من مدحه ، وأنتقد طرفاً مما قيل
فيه — إن فتح الله على به — . والآن قد من الله علينا بالأخ في الله : السيد
الحاج أحمد بن السيد محمد بن علال القرومي ^(٥) ، داراً ومنشأً ، حيث ورد علينا
قاصداً حضرة سيدنا ، راغباً في نواله ، راجياً في آلائه . ومدحه بتصيدتين ،

أردت أن أذكرها هنا ، لمناسبة ما قصدت ، وتوفية لما به وعدت ، لا سيما
وقد اشتملت أحداها على محاسن المسجد الذي حلم ^(٦) به الزمان ، وسار في
الآفاق بحديثه الركبان . والأخرى على نياله « خريدة العجائب » ^(٧) التي

(١) نخ : « وأنزله بالمكاتب فدفعهم لكتابه إزالة اللومه » .

(٢) نخ : « وما نابها من أولهم لآخرهم » :

(٣) نخ : « عوضه وصده » .

(٤) نخ : « من الخيل بالاشتجار » .

(٥) نخ : « الفروحي » .

(٦) في جميع النسخ : « أحلم » . والتصويب من قلنا .

(٧) على نياله خريدة العجائب : الضمير في « نياله » يعود على محمد الكبير ، =

- لم يذكرها غير قاصد ولا طالب . وهى هذه : (١)
لقد أنجز الآمال وعدا من النصر
كما أبرز الاقبال ما كان فى القدر (٢)
وأهدى فؤاد الفتح عذراء بلدة
مثقلة الأرادف فى الحلل الخضر (٣)
تكمل بالشمس المنير جبينها
كما أبهى معصم تسور بالبدر (٤)
أحاط لها بالشجر من كل جانب
أسود الثرى والغيل يرمق عن شزر (٥)

== والمراد بالنيل — هنا — مطلوبه ومرغوبه ، وهو فتحه مدينة الأغواط ، التى عبر عنها بـ « خريدة العجائب » .

(١) أى : القصيدة الرائية ، ذات العروض المقبوضة والضرب التام من البحر الطويل .

(٢) الآمال : جمع أمل وهو الرجاء . ومحلّه من الاعراب النصب ، لانه مفعول به ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على محمد الكبير .

الاقبال : خلاف الادبار والمراد به — هنا — السعادة ، والحظ والثروة . وهو مفعول به مقدم ، والفاعل مؤخر ، وهو « ما » الموصولة . القدر : — بسكون الدال — الطاقة ، والقوة .

(٣) فؤاد الفتح : قلب النصر . وهو محمد الكبير . عذراء بلدة : بلدة بكر لم يطمشها أحد قبله . وهى مدينة الاغواط .

(٤) تكمل : تتوج . معصم : موضع السوار من الزند . والشطر الثانى من البيت مختل الوزن .

(٥) الشجر : المكان الذى يخاف منه هجوم العدو . أسود الشرى : أسود ==

محجة ريمًا وبكرا غريرة

(١) فناهيك من ريم وناهيك من بكر

فكم رام قوم فك حسن ختامها

(٢) فباءوا بخسران وندوا عن المهر

لمن ذات الأبطال قهرا اعزه

كما له كل الصعب ذل بلا عسر

محمد المستسفل الشهب مجده

(٣) على أنه في الأرض حاز سنى الفخر

أمير له في الناس عدل وسطوة

(٤) فعامله في تلك يرفع بالجر

== الغاب والاصل في « الشرى » مأسدة بجانب الفرات يضرب بها المثل في شدة

غضب أسودها . الغيل : الاجمة ، ومقر الاسد .

يرمقن : ينظرن . الشرر : النظر بمؤخر العين من شدة الغضب ، أو

الاعراض .

(١) الريم : الظبي الخالص البياض . غريرة : لم تحنكها التجارب . وفي

نر : « عزيزة » . فناهيك : فيكفيك . ومعنى البيت : أن مدينة الأغواط

يسكنها أبكار حسان لا يشتغلن بشيء يكدر عليهن حياتهن . فهن ملازمات

خدورهن تحت رعاية ذوين . فيكفيك : منهن كذل رائع في غاية الجمال ، الخلق ،

والخلق .

(٢) رام : قصد فباءوا : رجعوا . وندوا : امتنعوا . المهر : الصداق .

والشطر الثاني في نيج . نر : « في ارجعهم في خيبة على المهر » .

(٣) سنى الفخر : رفعة الفضل وشهرته . الشطر الأول من البيت

مختل الوزن .

(٤) ومعنى البيت : أن الممدوح صاحب عدل وقوة ، وعامل رفعته يكون =

تقد دوح الأرض البسيطة طوله ^(١)
 لصاحب مرمى ^(٢) الحق أو صاحب الجور
 على رحبها ضاقت على وسم جنده
 فتسمع من بعد صدى نقر البتر ^(٣)
 كأن قرى الأغواط جمع مؤنث
 فيعمل فيه الفتح جيشه بالكسر ^(٤)
 لذاك ترى الأغواط إن ذكر اسمه ^(٥)
 تفقد رأسا هل أيين من النحر ^(٦)
 كأن بلاد الشرق والغرب كفه ^(٧)
 فيأمر بالعمران فيها وبالفقر
 إذا رام ^(٨) شخص أن يحدث نفسه
 خلافا طوى عنه الأصابع بالعصر

= بالدفاع والجر ، وغيرهما من مظاهر قوته وسطوته وفي البيت « تورية » ،
 باستعمال الجر بمعناه الاصطلاحي اللغوية .

- (١) نبح : د عدله ، . والطول ، : الفضل والعطاء .
- (٢) « مرمى الحق » : هدفه ، الذى يتوخاه لرجل العادل .
- (٣) « نقر البتر » : صلصلة السيوف القاطعة .
- (٤) أى : كأن قرى الاغواط مثل جمع المؤنث للأبكار ففتحتها جيش محمد الكبير وكسرها . وفي البيت تورية .
- (٥) « اسمه » : اسم محمد الكبير .
- (٦) « تفقد » : تنفق ، والضمير يعود على « الاغواط » .
- (٧) « كفه » : طيعة له مثل كفه .
- (٨) « رام » : أراد .

فإن ^(١) كان في حرب تر السكون عابسا ^(٢)

وإن كان في سلم تر السكون في إ بشر

تري مترف الأعداء حول خبائه

مصارعها ^(٣) للوحش أكلا وللطير

إذ رام غزوا بشر الطير بعضه

ونادى منادى الوحش سيروا إلى الذخر ^(٤)

فن كل فج تقفو أثر نعاله

على قدرها ^(٥) حتى الخفافيش ^(٦) والمزر ^(٧)

جواد له في الفضل أسنى مآثر

مكارمه جلّت على العبد والحر

(١) تر : د ولو .

(٢) نخ : د عامها .

(٣) د مصارعها : الضمير يعود على الأعداء .

(٤) د الذخر : كل ما يخبأ لوقت الحاجة . والمراد به — هنا — الغنيمة .

(٥) د على قدرها : على طاقتها وسطوتها . والضمير يعود على النعال ،

أو على الخفافيش والمزر .

(٦) د الخفافيش : مفردة خفاش . وهو نوع من الطير لا يبصر بالنهار

ويسكن — غالبا — في جوف سيقان الأشجار ، وفي الجحور أيضاً . ويشبه

الجذران خلقه ، ويضرب به المثل في عدم الثبات ويقال له د الوطواط ، أيضا .

(٧) د المزر : — بكسر الميم — الطائش من الحشرات والشرط الأول

من البيت غير موزون .

هو البحر جودا والهزير^(١)
وروض الربى علما وفي بسمه الزهر
توشح بالعلم الشريف حقيقة
لسنة خير الخلق مستند الظهر^(٢)
فيصطنع المعروف في كل أهله
ولا^(٣) يفعل الأشياء إلا على سر
فلو شاء إنس جمع ظرف خصاله
لاذهله قسم الصحيح على الكسر^(٤)
وحيره كعب المسكارم والجداء^(٥)
وأدهش في التربيع^(٦) منه وفي الجذر^(٧)

(١) «الهزير» : الأسد .

(٢) نخ : «مستند للظهر» .

(٣) نر : «فلا» .

(٤) أى . فلو أراد أحد من البشر أن يحصى خصاله المحمودة لما استطاع أن يحصى جميعها ، لأن خفيها أعظم بكثير مما هو باد للعيان و«الصحيح» و«الكسر» نوعان من علم الحساب . وفي البيت تورية

(٥) «الجداء» : العطاء والسخاء .

(٦) «التربيع» : قسم من علم الحساب . وهو مربع العدد ، الحاصل من ضرب العدد بنفسه ، فالتسعة — مثلا — مربع ثلاثة .

(٧) «الجذر» : قسم من علم الحساب . وهو عدد مضروب في نفسه . فالهشرة — مثلا — جذر المائة ، لأنها مضروبة في عشرة . وفي البيت تورية .

فنتستخرج الأمرار عند تقابل
 فراسته قبل التخاطب بالجهر ^(١)
 إلا يا أثيل المجد ^(٢) سيفك لم يزل
 طويلا إلى أعناق أعدائكم يجرى
 ودانت لك الآمال والسعد قابل
 عليك بصفر الخلق والحجر والسمر
 وطافت ^(٣) بك الآمال من كل جانب ^(٤)
 تسوق لك المطلوب تحت أعلى الأمر
 ولا زلت عزّا ^(٥) يدوم ورفعة
 ولا زلت ممدودا من الله باليسر
 ودرت على الأبناء ^(٦) سحب سعادة
 تخلد من أعمالكم طيب الذكر
 فلما رأيت عينا ^(٧) ذاتها جودكم
 ينادى بأعلى الصوت ^(٨) حتى على البحر

(١) « بالجهر » : هكذا في جميع النسخ . ولعله : بالجهر ، بدل من ذلك .
 وفي البيت تورية .

(٢) « أثيل المجد » : عريق الشرف . وفي نر : « أيا طويل المجد ... » .

(٣) نبح : « وطابت » .

(٤) نر : « جهة » . والشرط الثاني من البيت مختل الوزن .

(٥) نر : « عمر » .

(٦) « الأبناء » : أولاد محمد الكبير .

(٧) « عينا » : من عظم سواد عينا ، واتسعت مقلتها . والشرط الأول من
 البيت مختل الوزن . زيادة عن غموض معناه .

(٨) نر : « جهر » .

ولين جمع ^(١) العالمين نداءه
على نوعها حتى الثعالب والنسر
فسيفك يقرى الطير لحما من العدا
وسيبك ^(٢) يرى ^(٣) الناس من ألم الفقر
عملت على بعد إليكم مطيتي
ولا من غوصاته ^(٤) طالب الدر
وقلت لفسى ابشرى لمقاصدى ^(٥)
ونيل مرام واقتبال من الدهر
شربنا من الفرات لا نظاماً بعده
وأظفرونا بالكز الجهر للكسر ^(٦)
غدونا خاصا نحو باب مكار
ورحنا بطانا ممتلين إلى الوكر
سلام عليكم يهيج الكون نوره
ويعلاً بقاع الأرض من نفح العطر
يحييكم ما دام مطلع مدحكم
لقد أنجز الآمال ^(٧) وعدا من النصر

(١) نر : « جميع » .

(٢) « سيبك » : عطاؤك وكرمك .

(٣) نر : « يرى » .

(٤) نر : « غوصته » .

(٥) نفح : « المقاصد » .

(٦) كلا شطرى البيت مختلا الوزن :

(٧) نفح : « الإقبال » .

وقال أيضا^(١)

لما التقيت بوافد الحسن البهر
بزجى المطايا^(٢) مغربا^(٣) في عسكر
خاطبته أين السير فأننى
أبصرت ما أدهى وأدهش منظرى
فأجانبى بلسان طلق فاطمًا
اسمع مقالى وع دقائق نخب^(٤)
ألق العصا وفك رحل ركائبى
بالمسجد المنشى « بام العسكر »^(٥)

-
- (١) هذه القصيدة من بحر الكامل ، صحيح العروض والضرب معا .
(٢) « يزجى المطايا » . بسوقها برفق . ود المطايا ، جمع مطية ، كمطية ،
وهى الناقة والبعير ، وكل دابة تركب .
(٣) « مغربا » : من أغرب فى جريه ، اذا أكثر منه ، أو أغرب فى الأرض ،
اذا قصد الغرب . أو أغرب فى الشيء ، إذ بالغ فيه .
(٤) الشطر الثانى من البيت مختل الوزن .
(٥) « أم العسكر » : مدينة معسكر . وهى مدينة البطولة ، والشرف الرفيع
والنخوة العربية ، والعزة الاسلامية ، ومنها نبعت الغيرة الوطنية . وقد كانت
فيما مضى قرية متوسطة يقطنها قبائل الاعراش وشرفاء « غريس » إلى زمان
مصطفى أبى الشلاغم : فاتح مدينة وهران للمرة الاولى . فقد حول اليها مركز
الولاية من مازونة . وسكنها فاصبحت منذ ذلك العهد مركزا لإدارة الدولة
ومستقرها . كما أصبحت فيما بعد مرتعا لجيوش الامير الحاج عبدالقادر ، ومكانا
لائقا لتسيير حكومته .

والمسجد المذكور فى البيت ، هو « مسجد عين البيضاء الذى شيده محمد =

الحكم التشييد في شرفاته
فتراه يحسن كالرياض الماطر
خلعت عليه الشمس حسن ردائها
فلذلك يخطب أعين النظر ^(١)
لما رأت قمر السما ^(٢) خالماً على
جبل ويعرف بالمكان المقصر
فكأنما اللبن المشيد سناء ^(٣)
حجر من البهت ^(٤) الجذيب الصور
لم يستطع شخص زوال نواظر
من تلك لكن من بديع المبصر ^(٥)

= الكبير في سرّة مدينة « معسكر » . وكتب على أحد جدرانها :
وأمر بتشيد هذه الجامع المبارك ، خليفة السلطان السيد محمد باي بن
عثمان . . . انتهى — بحمد الله — على يد المعلم أحمد بن محمد ، بن حج احسين ،
بن صار مشق ، التلساني — رحمه الله في أول يوم ذى القعدة عام خمسة وسبعين
ومائة وألف .. كتب الحروف محمد بن صار مشق .

(١) نخ : « فلذلك يخطب عيناً للمنظر » . والشرط الثاني من البيت مختل
الوزن في جميع النسخ .

(٢) « خالماً » : ألبسه حلة جملة من أنواره الفضية . والشرط الاول من
البيت مختل الوزن .

(٣) « سناء » : معمول لـ « لمشييد » .

(٤) « البهت » : نوع من الرخام النفيس تتبلور فيه الاشياء وتنعكس
عليه الصور .

(٥) المبصر : — بفتح الصاد — اسم مفعول .

قامت زوايا خطوطه في وضعها
 فبحسنه شكل المربع مخبر^(١)
 فتراه أصفر فاقعا في أحمر
 قان وأبيض ناصع في أخضر
 روضا تخلخل فضة من مائة
 متقنعا بتناع نور أزهر
 نثر الغمام على بحور نوره
 من طل وابله فتيت العنبر^(٢)
 تحيا النفوس تنزها في شكله
 من حسن بهجته وذاك المنبر
 فكأنما سوداء زنجية غدت
 عليها حلى من النجوم الزهر^(٣)
 وسط المساحة قبه مربوعة
 من فوق أبهى قوائم من مرمر^(٤)
 خود^(٥) تجلى على الغلائل سوقها
 محصورة من غير آل الأصفر

-
- (١) « مخبر » : — بكسر الباء — اسم فاعل . أى شكل مربع المسجد يخبرنا بحسن بنائه ورواقه . والشطر الاول من البيت غير موزون .
 (٢) « فتيت العنبر » : أريجته ورائحته الطيبة .
 (٣) الشطر الثانى من البيت مختل الوزن .
 (٤) الشطر الثانى من البيت مختل الوزن .
 (٥) « الخود » : — بفتح الخاء — المرأة الحسناء . وقد شبه هذا المسجد =

عجبا له من مسجد في الأرض قد
حاكى السماء تطاولا في المفخر
لو لم يكن ^(١) فلك لما كانت به
زينة الكواكب والثريا به الحرى
تحويه مدرسة غدت آثارها
تحية بالعلم الشريف الأشعري ^(٢)
تمحى رسوم الجهل من ألواح
تمحى شمائله عن الزور السرى
بناه الأمير ^(٣) محمد في الغرب قد
لاحت آثاره كالصباح السفر
هبت رياح النصر فوق بنوده
ويهب الأعداء برمج صرصر

== بامرأة فائقة الجمال . وشبه اسطواناته بسيقانها المنزهة عن الاغلال ، كما أن
هذه الاسطوانات مطوقة ببعض الحلق المعدنية الثمينة من غير جنس الذهب ،
لأن الذهب محرم على ما سوى النساء في شريعة الإسلام ، وهو المعبر عنه
بـ « آل الأصفر » . والشطر الأول من البيت غير موزون .

(١) نخ : ديك ، . والشطر الثاني من هذا البيت مختل الوزن .
(٢) « الأشعري » : نسبة إلى أبي الحسن على الأشعري زعيم أهل السنة ومؤسس
المذهب ، المشهور في علم الكلام . وقد تتلمذ عليه خلق كثير ، من أشهرهم الإمام
الكبير أبو الحسن الباهلي .

(٣) نخ : « أميرنا » . والبيت غير موزون بكلا شطريه في جميع النسخ .

في جود هارون في عدالة ناصر
في رأى كسرى في عظمة ^(١) قيصر

لم ير في تقع الوقائع طرفه
بالطرق إلا بالسليل المسعر

سقت ^(٢) كلون البحر بل كالبددر بل
كالشمس بل كالبارق المتحدر

يشتد حرا للنجيع ^(٣) ظمأوه
والشكل [قد] ينبو بحسن الجوهر

القي عليه الرعب من جلبابه
ما ينبىء الأعدا بالموت الأحمر

من نار أخرجه الجرد ضغطه
كالماء يعشق أكل لحم المنحر

لم يجمع الضدين ^(٤) إلا سيفه
عجبا لنشأة عنصر من عنصر

إن كان وصل الملك قد ما بن على
بمحمد ^(٥) وصاله فهو الحرى

(١) نخب . دوفى ضخامة .

(٢) وسقت . : ضمير المخاطب منة يعود على الباي محمد الكبير .

(٣) والنجيع . : الطعام النافع ،

(٤) نر : والغمدين .

(٥) نخب : د بمجد .

فخر الزمان ملته ^(١) من فضله
بين الأنام على زمان المنذر
وخزيمة ^(٢) مع عمر والضحاك من
أولاد جفنة من أسارد ^(٣) حير
إن كان فيهم بالزمان تقدم
كم تنسب الآثار للمتأخر
خذها بكف للبين ^(٤) فإنها
عذراء لم يطمشها ^(٥) غير تفكر
وابق سيعدا خاتم العلياء قد

كملت خصالك فأعتذر ثم الفخر
ومن هذه الدار ^(٦) استأذنه « مخزن الشرق » في الانصراف ، فأذن لهم
فيه ، ورحلوا قرب الزوال ^(٧) . وبقيت « المحلة » مقيمة على حالها . ثم « أولاد
خليف » كذلك ^(٨) ثم استأذنته « الأحرار الشراقة » أيضا ، فأذن لهم وانصرفوا

(١) نر : « تلييد » .

(٢) نخ : « وبجزيمة » .

(٣) نخ : « من أبناء » .

(٤) نر : « لا بيدين » . والضمير في « خذها » يعود على القصيدة .

(٥) لم يطمشها : لم يمسه . والشطر الثاني من البيت مختل الوزن .

(٦) أى : « وزاحة » .

(٧) نخ : « قرب الزوال لغير الانصراف » .

(٨) نخ : « كذلك في ارتحالها » .

بعد ما دفعوا الخيل والإبل ، التي أتوا بها^(١) . وبالعقد ارتحل من «وزاحة»^(٢) والنصر ينفقوا أثره^(٣) وقدامه^(٤) . فسار أربع ساعات ونزل قرب «الحليات» ، فتوى نزول الثلج ، واشتد البرد ، وتحرك الريح بعد سكونه وعربد . فاقام يومه بذلك المسكان ، ينتظر تبسم الجو وإذا بريح الصبا هبت وزحزحت السحاب حتى ربيء في أجاء السماء الصحو وحيث زال عبوس الغمام ، وظهرت الأودية والأكام أصبح مرتحلا . وكانت الطريق تمر على «الحليات» ، فوصلها وقت الضحى^(٥) وسار بجرا تارة وتارة رملا^(٦) ، إلى أن مضى من النهار ثمان ساعات ونصف ، فنزل بموضع يسمى «واد الدهان»^(٧) . وقد وجدنا فيه ماء كثيرا من أثر المطر^(٨) ، وغدرانه متسعة جدا ، بحيث تكفى الجيوش الكثيرة ثم ارتحل بالعقد وتزل الواد الذى ينزل من «ريسة»^(٩) على ثلاث ساعات . ثم منه إلى «دير الكاف» ثمان ساعات .

ولما وصلت «الحلة» إلى هذه الدار ، وضربت أخبيتها^(١٠) أهرعت

(١) نخ : «بها محضا» .

(٢) نخ : «الوزاع» .

(٣) نر . د أمامه .

(٤) نخ : «وقدامه بالتحليات» .

(٥) نخ : «الضحى بالزهاة» .

(٦) نخ : «وسبها وتارة رمل» .

(٧) نخ : «واد الدهان الزلة الشهيرة» .

(٨) نج : «وغرانه» .

(٩) نخ : «ينزل للمدرسة» نج : «ينزل مدرسية» .

(١٠) نخ : «أخبيتها للحيافة» .

لها [القبائل] (١) بالعرف والضيفة . فكل قبيلة أنت بما قدرت عليه .
وقدمت « الأحرار الغرابة » بفادتهم (٢) [لايه] (٣) . وأما الإبل التي كان
جعلها عليهم (٤) فانهم قدموها إلى « غريس » ينتظرون بها قدوم سيدنا
— أيده الله! — . ثم أصبح مرتحلا ، فصار ثلاث ساعات ، ونزل « ضاية » (٥)
سیدی الطيب » ، فأتت الرعية — أيضا — بالضيفة والعرف ، وكافعلوا
بالأمس (٦) . وبالغد ارتحل وجاوز « واد العبد » ، ونزل بلاد « أولاد عوف »
على خمس ساعات ، فاتوه — أيضا — بالضيفة والعرف (٧) ، وكذلك من بقي
من الرعية « كاولاد خالد » ، و « أولاد إبراهيم » وغيرهم (٨) ، ثم جعلت
الناس ترد عليه من « المعسكر » : مثنى وفراى ، وجماعات . واستمر فعلهم
على ذلك إلى البيات (٩) . وقد تباشر بقدومه الدهر ، وقابل (١٠) أيامه بالأسعاد
حتى صارت من حسننها كالوأمم والأعياد ، وعم خصبه الأهل والرعية والبلاد .
فزال عنهم كل غم ، وارتفعت عنهم الأحزان والأنكاد . وكانوا يريدون (١١)

(١) الزيادة من نخ .

(٢) بفادتهم : - بالعاف المشئمة - بقوادهم والكلمة إقليمية .

(٣) الزيادة مع نخ .

(٤) نخ : « عليهم نصره الله » .

(٥) ضاية : هكذا في جميع النسخ . ولعله « ضيعة » .

(٦) نخ . « بالأمس لنيل الأرب » .

(٧) نخ « والعرف لنيل المسرات » .

(٨) نخ : « وغيرهم بالسوية » .

(٩) البيات : الليل .

(١٠) نخ : « وقبلت » .

(١١) نخ : « يريدون » .

أن يفدوه بالأهل والمال . وذكر وروده — عندهم — أحلى من العذب الزلال ،
واحق الناس بالتقرب ^(١) والمال ؛ وأولادهم بقول من قال ^(٢) :

لعمرك قد سرت بلاد المغرب

سرور ضمىء بشر بالشارب ^(٣)

وأنسها من مرتع الخصب ^(٤)

يحدث أن الروض ليس بعازب

قد استشعرت روح الأمانى ^(٥) رواحها ^(٦)

وشامت ^(٧) بروقا ألمعت بالسحائب

وعند طلوع البدر ليلا تسابقت

إليه تحي راكبا بعد راكب

هذا ، وقد تضاعف الفرح في ذلك اليوم ، وبات أكثر الناس يراقب

الصباح ، فلم يساعده النوم . وحين بقي من الليل ساعات ونصف ، جد
في السير ^(٨) .

(١) نخ . نج « الترقب » .

(٢) هذه الأبيات من وزن البحر الطويل المقبوض العروض والضرب معاً .

(٣) الشطر الثاني من البيت مختل الوزن .

(٤) نخ : « زائد » .

(٥) نخ : « الأمان » .

(٦) نج : « روحها » .

(٧) « شامت بروقا » : نظرت إليها أين تمطر وأين تنزل .

(٨) نخ : « في السير بالافتداد » .

فلما وصل إلى « غريس » ، وجد خدامه : « الخازنية » تعرضوا له بإبل « الأحرار » . فعزل منها أربعين جملا ، قسمها على من مات له شيء بعد ما كان أعطى لكل من مات له عوض ما هلك له ؛ إلا أنهم ^(١) ماتت لهم بعد ذلك نحو الأربعين جملا ، فأعطاهم بدلها هنا ^(٢) ، والباقي طبعه كالعادة ^(٣) والسنة السابقة المعتادة . وحيث كملت الإبل بالطبع ^(٤) ، ركب ودخل لـ « لمسكر » وقد تم له ما أراد من الأشياء ، ونال المحمدة التي استحق بها الاستعلاء على الثريا ، فألقت عصاها ^(٥) واستقر بها النوى ، كما قر عينا — بالإياب — المسافر . وكان دخوله يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ربيع الثاني ^(٦) ؛ قبيل وقت العصر ؛ في أول الساعة الثامنة .

قد انتهى ما كننا أردنا جمعه ، وكل الغرض ^(٧) الذي انتخبنا وضعه وتحرينا فيه جهدنا ، وجعلنا الاختصار وعدم التكلف فيه قصدا .

فله الحمد على ما من به من إكاله ، والشكر له على ما منحنا ^(٨) من إنعامه وإفضاله . ونسأله — سبحانه — أن يجعله موافقا لمن جمع لغرضه ، لأكون

(١) نخ : « له » .

(٢) نخ : « هنا تحلية له » .

(٣) أى : ختم على ظهرها بالطابع ، حسبما جرت به العادة .

(٤) نخ : « بالطبع المشتهر » .

(٥) عصاها : الضمير يعود على « المحلة » .

(٦) نخ : « الثاني بالثامنة » .

(٧) نخ : « المراد » .

(٨) نخ : « امنحنا » .

مؤدياً لبعض حقه علينا وفرضه . فهر أ كبر داع^(١) إلى جمعه ، وأقوى سبب وحامل^(٢) على وضعه .

قال ذلك [وكتبه]^(٣) فقير ربه ، وأسير ذنبه : عبید الله تعالى ، وأقل عبیده ، وأحوجهم إلى توفيقه وتسديده ، أحمد بن محمد بن محمد [محمد]^(٤) (بفتح الميم) بن علي بن أحمد بن هطال^(٥) ، طالباً من الله تعالى أن يجبر صدق قلوبنا ، ويغفر جميع ذنوبنا ، وأن يجعل استعدادنا لمعادنا .^(٦) إنه ولي ذلك والقادر عليه .^(٧)

وصلى الله على سيدنا محمد [وصحبه]^(٨) وآله عدد ما ذكره الذاكرون . وغفل عن ذكره الغافلون . « وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين »^(٩)
« سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين »^(١٠) .

(١) نخ : « داعينا » . نج : « داعى » . والتصويب من قلمنا .

(٢) نخ : « سبباً وحاملاً » .

(٣) الزيادة من نخ

(٤) الزيادة من نخ .

(٥) نخ : « بن هطال » . كان الله له يوم ترادف الأهوال .

(٦) نخ : « لمعادنا وأن يوفقنا لمعادنا » .

(٧) نخ - نج : « عليه بكمال » .

(٨) الزيادة من نخ .

(٩) سورة يوسف ، الآية : (١٠)

(١٠) سورة الصافات ، (الآيات : ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢) وفي نخ : « سبحان

ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين » انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

« كل تقييد هذه الأوراق عشية يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر الله
« ذى القعدة » سنة اثنتين بعد المائتين والألف ، على يد عبيد ربه ؛ وأحوجهم
إليه ، المقر بذنبه ، وتقصيره : محمد بن البشير بن محمد « آقراى » ، التلمسانى
داراً ، ومنشئاً . غفر الله له ، ولوالديه ، ولأشياخه ، ولجميع المسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء — منهم — والأموات . ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلى العظيم .

« وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين » .

يوم (٢٢) ذى القعدة سنة (١٢٠٢ هـ) «^(١)

هذا ما تبسر لنا أن نأتى به ، والله الأمر من قبل ومن بعد .

الحقق : محمد بن عبد الكريم

الجزائر ٣/٤/١٩٦٧ م

الفهارس

- ١ — فهرس المراجع .
- ٢ — فهرس الموضوعات .
- ٣ — فهرس الآيات الكريمة .
- ٤ — فهرس الأعلام والألقاب والسكنى .
- ٥ — فهرس القبائل والأجناس .
- ٦ — فهرس أسماء الكتب .
- ٧ — فهرس أسماء الأماكن والبلدان .
- ٨ — فهرس القوافى الشعرية .
- ٩ — فهرس الألفاظ العجمية والاقليمية .

فهرس أهم المراجع

(١)

- ١ — أبو اسماعيل بن عودة (المزارى) : طلوع سعد السعود . .
(مخطوط تحت ملكنا)
- ٢ — أحمد بن على بن سحنون : الثغر الجاني ، فى ابتسام الثغر الوهرانى ..
(مخطوط تحت ملكنا)
- ٣ — أحمد بن هطال : رحلة محمد الكبير إلى الجنوب . .
(مخطوط تحت ملكنا)
- ٤ — أحمد بن هطال : رحلة محمد الكبير إلى الجنوب . .
(مخطوطان بالمكتبة الوطنية تحت رقم : ١٦٤٣ — ١٦٤٤)

(ح)

- ٥ — حسن خوجة التركى : در الأعيان . .
(مخطوط تحت ملكنا)

(ق)

- ٦ — قورقوص (GORGUOS) : ترجمة لرحلة الباي محمد الكبير . .
(المجلة الافريقية لسنة ١٨٥٧م)

(م)

- ٧ — محمد أبو راس : عجائب الأسفار . .
(مخطوط تحت ملكنا)

فهرس الموضوعات

الصفحة

- ١ - تقديم : ١١
- ٢ - التعريف بصاحب الرسالة : ١٣
- (أ) نسبة . (ب) وظيفته . (ج) وفاته .
- ٣ - البائ محمد الكبير : ١٥
- (أ) التعريف به . (ب) اسمه . (ج) كنيته . (د) لقبه .
- ٤ - دور محمد الكبير في الحكم : ١٥
- ٥ - مدة مكث الأسبان بوهراة : ١٨
- ٦ - استعداد محمد الكبير لفتح وهران : ١٩
- ٧ - أعماله وإنجازاته : ٢٤
- (أ) اعتناؤه بالفقراء والمساكين . (ب) حرصه على الثقافة والمثقفين .
- (ج) اعتناؤه بالتشيد والبناء : ٢٧
- ٨ - مكاتبه بين رؤساء الدول : ٣٩
- ٩ - أوصافه الحسية ، وأخلاقه المعنوية : ٣١
- ١٠ - ملاحظة هامة : ٣٢
- ١١ - منهاجنا في التحقيق : ٣٣
- ١٢ - الرسالة : ١٠٢-٣٤
- ١٣ - فهرس المراجع : ١٠٤
- ١٤ - فهرس الموضوعات : ١٠٥
- ١٥ - فهرس الايات الكريمة : ١٠٦
- ١٦ - فهرس الأعلام والألقاب والكنى : ١٠٧
- ١٧ - فهرس القبائل والأجناس : ١١٠
- ١٨ - فهرس أسماء الكتب : ١١٢
- ١٩ - فهرس أسماء الأماكن والبلدان : ١١٤
- ٢٠ - فهرس القوافي الشعرية : ١١٨
- ٢١ - فهرس الألفاظ العجمية والافليمية : ١٢٥

فهرس الآيات الكريمة

النسخ	السورة	الآية	الصفحة
— خاوية على عروشها :	البقرة	٢٥٩	٥١
— وما تعملوا من خير فلن نكفروه :	آل عمران	١١٥	٦٤
— ومن أحياءها فكأنما أحياء الناس جميعا :	المائدة	٣٢	٦٣
— الحمد لله فائق الأصباح			
— وجاعل الليل سكنا :	الأنعام	٩٦	٣٤، ١٢
— وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين :	يونس	١٠	١٠١
— لكل أجل كتاب :	الرعد	٣٨	١٤
— ونراهم سكارى وما هم بسكارى :	الحج	٢	٥٤
— سبحان ربك رب العزة			
عما يصفون . . . :	الصافات	١٨٠، ١٨١، ١٨٢	
— لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه :	عبس	٣٧	٤٦

فهرس الأعلام والألقاب والكنى

(أ)	الصفحة	(أ)	الصفحة
ابن اقرى	١٠٢، ٣٢	ابن عثمان	٩٢، ٣٦، ٢٣، ١٥
ابراهيم	٧١، ١٦، ١٥	ابن علال	٨٣
ابن ابراهيم	١٩، ١٥	ابن على	١٠١، ٣٤، ١٣
ابن ابى فرج	٢٦	ابن عودة	٢٨
ابن احمد	١٠١، ٣٤، ١٣	ابن عيسى	١٥
ابن اسماعيل	٥٨، ٢٥	ابن فريجة	٢٣
ابن افریجة	٢٣	ابن محمد	١٣، ١٤، ١٥، ٣٤،
ابن البشير	١٠٢، ٣٢		٩٢، ١٠١، ١٠٢
ابن الحاج حسين		ابن مناد	٤٢
ابن حج حسين	٩٢	ابن المولود	٢٠
ابن حواء	٣٣، ٣٠	ابن مولاى	٢٩
ابن خدة	٢٩، ٢٨	ابن ميمون	١١
ابن رويلة	١١	ابن هطال	١٣، ١٤، ٢٠، ٢٦،
ابن زرقه	٢٦		٣١، ٣٤، ١٠١
ابن زيرى	٤٢	ابن يوسف	٢٨
ابن سحنون	٢٣، ٢٠، ١٣	ابو احمد	١٥
ابن الشريف	١٤	ابو اسحق	١٥
ابن صار مشق	٩٢	أبو الحسن	٩٤
ابن طلحة		أبوراس	٢٥، ٢٢، ١٩
ابن عبد الجبار	٧١	ابو الزبيع	١٥
ابن عبد الله	٥٠، ٢٦، ٢٠، ١٤	ابو الشلاغم	١٦، ١٨، ٢٢، ٢٩، ٩١
	٦٤، ٥١	ابو العباس	١٣

الصفحة	(ب)	الصفحة	(أ)
٩٥، ٩٤، ٧٩، ٤٥، ٣١، ٣٠، ٣٩	الباهلي	١٨، ١٤	ابو عبد الله
٢٥	البحثاوي	٧٨	ابو عثمان
٦٣، ٥٣	البخاري	١٥	أبو علي
١٩، ١٨	بكداش	١٥	ابو القنق
٤٢	بلكين	١٥	ابو الفتوحات
(ت)		٢٦	أبو فرج الاصفهاني
١٤	التركي	١٦، ١٥	أبو كابوس
١٠٢، ٩٢، ٣٣، ١٣	التلساني	١٥	ابو محمد
(ج)		١٥	ابو المواهب
١٥	المجاهد	١٥	ابو النصر
٢٠	الجلالي	١١، ١٣، ١٤، ١٦، ٢٠،	احمد
(ح)		٢٣، ٢٦، ٢٨، ٣٤، ٣٨،	
١٧، ١٦، ١٥، ١٤، ١٣	الحاج	٩٢، ١٠١	
٩١، ٨٥، ، ٨٣، ٢٦		١٥	اسماعيل
٣٠، ٢١، ١٩، ١٥، ١٤	حسن	١٦	اوريلي
٣٣	حسين	(ب)	
١١	حمدان	١٦، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٣، ٢٩، ٣٠	باشا
(خ)		٢٩، ٣٠، ٣٩	الباشا
١٥	خديجة	١١، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧،	باي
٢١	الخزناجي	١٨، ٢٤، ٣٠	
١٧، ١٦	خليل	١٣، ١٤، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠	الباي
١٤، ١١	خوجة	٢١، ٢٣، ٢٤	
(د)			
٢٣، ٢١، ١٩، ١٧، ١٦	الدای		

الصفحة	(ق)	الصفحة	(د)
١٤ ، ١٥	فروق (CORGUOS)	١٤	الدرقاوى
٨٣ ، ٢٦	القروى	(ر)	
(ك)		١٦ ، ١٥	الرقيق
١٥	الأكل	(ز)	
١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٣ ، ١١	الكبير	١٥	زائد
٢٨ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢١ ، ١٩		(س)	
٤٥ ، ٣٤ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩		(ش)	سلطان
٩٥ ، ٩١ ، ٨٩ ، ٨٦ ، ٨٤ ، ٧٩			الأشعرى ٩٤
٧٩ ، ٧٨ ، ١٥	الكردى		الشقرانى ١١
(ج)		(س)	
١٥	المدانى		الصنهاجى ٤٢
(م)		(ط)	
١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٣ ، ١١	محمد		الظاهر ٢٠
٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩		(ع)	
٣٤ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨			عبد الرحمن ٢٩
٧٨ ، ٦٤ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٥ ، ٣٦			عبد القادر ١١ ، ٥٨ ، ٩١
٩١ ، ٨٩ ، ٨٦ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٧٩			عبد الله ٢٣
١٠٢ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٩٣			عثمان ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٧٩
٩١ ، ٥٨ ، ٢٦ ، ٢٢ ، ١٨ ، ١٦ ، ١٤	مصطفى		العجمى ١٤
٥١ ، ١٩	المسكرى	(غ)	
١٦	الملىانى		الفرسى ٢٠
٢٩ ، ١٥	مولائى		الغزلاوى ١٤
٤٨	الموهوب		حسنى ٩٤
(ن)		(ف)	
١٥	المنصورة		الفجيجى ٧١
١٨	التقىرى	(ق)	
(ى)			قاضى الحلة
٣٩	يزيد		قدور ١١ ، ٢٥

فهرس القبائل والأجناس

الصفحة	(ب)	الصفحة	(١)
٨٠، ٧٥، ٧٤، ٦٨، ٦٠، ٥٣	بنو الأغواط	٥٨، ٣٨، ١٨، ١٧، ١٥، ١٤	الأتراك
١٧	بنو راشد	١٠٠، ٩٨، ٩٦، ٨٣، ٨٢، ٣٩	الأحرار
٧٥	بنو ميزاب	٢٣، ٢٢، ٢١، ١٩، ١٨	الإسبان
	(ت)	٢٢، ١٩، ١٨	الإسبانيون
٥٩، ٥٨، ٤٤	الترك	٨١	الأعراب
	(ج)	٢٠	الافرنج
١٧	الحشم	٢٠، ١٣	الانجليز
١٧	حميان	٣٧	أنفاد
	(د)	٩٨	أولاد إبراهيم
٥٩، ٥٨	الدوائر	٩٨	أولاد خالد
	(ز)	٨١	أولاد خليف
٥٨	الزمالة	٥٨	أولاد حيد عربي
٢١	زواوة	٤٥	أولاد صالح
	الزيانيون	٥٨	أولاد العباس
	(ش)	١٧	أولاد على بن طلحة
٩٦	الشرافة	٩٨	أولاد عوف
	(ص)	١٥	أولاد نايل
٥٨، ٣٣	صبيح	٨١، ٧٤، ٤٥	أولاد يعقوب
	(ع)		(ب)
١٧	العرب	٥٨	البجاينة
		٥٨	البرجية

الصفحة	(م)	الصفحة	(ع)
١٠٠،٦٩،٥٤،٥٣	الخازنية	١٧	عمور
٨٣،٥٨،١٧	المنحن		(غ)
٧٤	المخالف	٥٨،٤٥	الغرابية
٥٨	المكاحلية	٤٨	الغيشة
	(ن)		(ف)
٣٩،٣٣	النصارى	٥٨	فرنسا
		٣٣،١٩،١٧	فليتة

فهرس أسماء الكتب

العنوان	الموضوع	المؤلف	الصفحة
(أ)			
اتحاد المنصفين والأدباء	طب	حمدان خواجه الجزائرى	١١
الأغانى	أدب / تاريخ	أبوفرج الأصبهاني	٢٦
(ب)			
بهجة الناظر	تاريخ / نسب	عبد القادر المشرفى الفريسي	١١
(ت)			
التحفة المرضية	تاريخ / أدب	نحمد بن ميمون الجزائرى	١١
(ث)			
الثغر الجمانى	تاريخ / أدب	أحمد بن على بن سحنون	
(د)			
در الأعيان	تاريخ / أدب	حسن خوجة التركى	١٤
(ر)			
رحلة أحمد باى	تاريخ	مجهولة المؤلف	١١
رحلة محمد الكبير إلى الجنوب	تاريخ	أحمد بن هطال	١١
الرحلة القمرية	تاريخ / أدب	مصطفى بن زرقة	٢٦
(ص)			
صحيح البخارى	حديث	محمد الجعفى البخارى	٦٣، ٥٣
(ط)			
طلوع سعد السعود	تاريخ	المزارى	٢٩، ٢٥، ٢٣، ٢٢، ١٧

<u>العنوان</u>	<u>الموضوع</u>	<u>المؤلف</u>	<u>الصفحة</u>
(ع)			
عجائب الأسفار ...	تاريخ / أدب	محمد أبو راس	٢٥
(هـ)			
الفريد في تقييد الشريد	أدب	محمد بن عبد الجبار	٧١
(ق)			
القول الأوسط ...	تاريخ	عبد الرحمن الشقراني	١١
(و)			
وشاح الكتاب ...	نظام الجيش	قدور بن رويلة	١١

فهرس أسماء الأماكن والبلدان

الصفحة	(ب)	الصفحة	(١)
٤٤ ، ٣٨ ، ١٨	البيضاء	٤٩	الأخضر
	(ت)	٨٦ ، ٢٥ ، ١٨	الأغواط
٦٩ ، ٦٨ ، ٥٢ ، ٥١	تاجوت	٤٩	أبوشكوة
٨٠ ، ٤٣	تادماة	٢٠	إفري
٤٣ ، ٤١	تاولة	١٧	أفلو
٤٣ ، ٤١	تاويلة	٦٩	إمداج
٣٠ ، ٢٧ ، ٢٣ ، ١٩	تلمسان	٦٩	امسناج
٣٠ ، ٢٩	تونس	٦٨ ، ٥٥ ، ٥٢	أم الضلوع
٥٠ ، ٣٠ ، ٢٣ ، ١٥	تيطري	٩١	أم عسكر
١٧	تيموشنت	٨١	أولاد خليف
	(ج)		(ب)
٢٩	جامع الأعظم		باب معسكر
٢٩	جامع الباشا	٢٩	برج رأس العين
٢٨	جامع بناصف	٢٩	برج مرجاجو
٢٤	جامع الباي		برج المرمى
٢٧	جامع السوق	٢٩	برج فوناندو
٢٨	جامع محمد الكبير	٢٩	برج كارلوص
٢٧	الجامع العتيق	٢٩	برج الوزير
٨١ ، ٤٦	جبل راشد	٢٢	البرج الأحمر
٢٠ ، ١٣	جبل طارق		برليمسن
١٨	جبل عور	٤١	بوسلام
٢٠ ، ١٩	جبل المائدة		بيت الله الحرام

الصفحة	(ز)	الصفحة	(ج)
٤٩	رنينة	١٦ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٧	الجزائر
(س)		٣٠ ، ٣٢ ، ٣٨	
٤٦	سبعة أدوار	(ح)	
٤٢	سباق	حامى الحمار	
٤١	سلام	الخليات ٤٤ ، ٩٧	
	السودان	حمام الأدهم ٢٨	
٢٧	السوق العتيق	الحواجب ٥٣	
٤٣	السيد عبد الرحمن	(خ)	
(ش)		الخضرء ٤١	
٤٩	الشارف	خنق الملح ٢٩ ، ٤٠ ، ٤١	
٧٢	الثرى	خنق النطاح ٢٩ ، ٣٤	
٨٠ ، ٤٣	الشلف	الخير ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٨٠	
(ص)		(د)	
٣٣	صبيح	دار الفرحتين ٨١	
(ض)		الدبداب ٤٩ ، ٥٢	
	ضارية سيد ناجى	دير الكاف ٣٨ ، ٤٣ ، ٩٧	
٩٨	ضاية سيدى الطيب	(ر)	
(ط)		رأس العين	
١٨	الطويلة	رأس واد الشلف ٤٢	
(ع)		رداد ٧٩	
٨٠	عجبية	الرشاق ٦٨	
٨١ ، ٣٨	العمور	ريسة ٩٧	
١٧	عين الحوت	(ز) ٦٨	
٤٠ ، ٣٩	عين سيدى حليمان		

(ع) الصفحة	(ك) الصفحة
عين سيدى على ٤٠، ٣٩	الكرط ٤٩
عين ماضى ٧٤، ٧٢، ٦٩، ٦٧، ٥٢، ٥١	(ل)
عين وزاحة ٨٢	اللفيحة ٣٩
(غ)	(م)
غريس ١٠٠، ٩٨	مازونة ١٩، ١٦
الغيشة ٧٩، ٤٨	المالح ٨٠
(ف)	مدينة الأغواط ٨٤
فاس ٧٢	المدية ١٥
الفرات	المدينة ٢٤
فوطاسة ١٤	مرسى الكبير ٢٢، ٢١
فليتة ١٦	مركانة ٤٤
الفندق الجديد ٢٧	مستغانم ٢٧، ١٩، ١٦
(ن)	مسرقيين ٢٠
قرية سيد على ٢٧	مصر ٢٩
قسنطينة ٣٠	المغرب ٣٠، ٢٩، ٢٠، ١٥، ١٣
قصر اوغل ٤٥	معسكر ١٢١، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٦، ١٥
قصر البستان ٢٩	٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢٧، ٢٤
قصر الرحامنة ٨٠	١٠٠، ٩٨، ٧٤، ٣٧
قصر العجالة ٨٠	المقسم
القطيفة ٤٤	المكدر ٨٠
القعدة ٤٨، ٤٦	مكة ٢٤
قلعة بنى راشد ١٩، ١٦	مليانة ٤٣، ٢٨، ١٦

(م)	الصفحة	(و)	الصفحة
ميزاب ١٨		وَاد الْقَصْب ٤٩	
مينا ١٤		وَاد الْعَبْد ٩٨، ٣٧، ١٤	
مينا الشلف ٥٨		وَاد مَرَّة ٤٩	
(و)		وَأْرَنْ ٤٦	
وَاد الدّهَان ٩٧		وَزَاخَة ٩٧	
وَاد الزَّلَامْطَة ٣٧		وَهْرَان ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١،	
وَاد سَبْقَاق ٨٢، ٤٤		٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٨	

فهرس القوافى الشعرية

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>القافية</u>
			(أ)
٧٦	؟	طويل	ثناء
٧٧	؟	د	البصراء
٧٧	؟	د	سثناء
٧٧	؟	د	اباء
٧٧	؟	د	واعثناء
٧٧	؟	د	يشاء
٧٧	؟	د	رواء
٧٧	؟	د	دلاء
٧٧	؟	د	سماء
٧٧	؟	د	صفياء
٧٨	؟	د	علاء
٧٨	؟	د	نصف حاء
٧٨	؟	د	كناء
٧٨	؟	د	بقاء
			(ب)
٩٩	؟	د	بالمشارب
٩٩	؟	د	بعاذب
٩٩	؟	د	بالسحاب
٩٩	؟	د	بعد راكب

<u>الغافية</u>	<u>البحر</u>	<u>الشاعر</u>	<u>الصفحة</u>
(ت)			
بالثبات	رجز	محمد النقيري	١٨
الثقات	»	»	١٨
مضت	»	»	١٨
كملت	»	»	١٨
الدولة	»	»	١٩
الصولة	»	»	١٩
(ر)			
ظهر	»	»	١٩
انتشر	»	»	١٩
تسعة عشر	»	»	١٩
نعتبر	»	»	١٩
الجزائر	»	»	١٩
زائر	»	»	١٩
كفر	»	أحمد بن سحنون	٢٠
بالظفر	»	»	٢٠
القدر	طويل	أحمد الفرّومي	٨٤
الخضر	»	»	٨٤
بالبدر	»	»	٨٤
شزر	»	»	٨٤
بكر	»	»	٨٥
المعر	»	»	٨٥

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية (ر)
٨٥	احمد القروى	طويل	عسر
٨٥	»	»	الفخر
٨٥	»	»	بالجو
٨٦	»	»	الجور
٨٦	»	»	البت
٨٦	»	»	بالكسر
٨٦	»	»	النحر
٨٦	»	»	بالفقر
٨٦	»	»	بالعصر
٨٧	»	»	بشر
٨٧	»	»	والطير
٨٧٠	»	»	الدخر
٨٧	»	»	والمز
٨٧	»	»	والحر
٨٨	»	»	الزهر
٨٨	»	»	الظهر
٨٨	»	»	على مر
٨٨	»	»	الكسر
٨٨	»	»	الجذر
٨٩	»	»	بالجير
٨٩	»	»	يجرى

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
٨٩	د	د	والسمر
٨٩	د	د	على الأمر
٨٩	د	د	باليسر
٨٩	د	د	الذكر
٨٩	د	د	على البحر
٩٠	د	د	والنسر
٩٠	د	د	الفقر
٩٠	د	د	الدر
٩٠	د	د	الدهر
			(ر)
٩٠	أحمد القروى	طويل	للكسر
٩٠	د	د	الوكر
٩٠	د	د	الطر
٩٠	د	د	النصر
٩٠	د	د	(ر)
٩١	د	كامل	عمر
٩١	د	د	منطرى
٩١	د	د	مخبر
٩١	د	د	بأم العسكر
٩٢	د	د	المطر
٩٢	د	د	النصر
٩٢	د	د	المقصر
٩٢	د	د	الصور

<u>الصفحة</u>	<u>الشاعر</u>	<u>البحر</u>	<u>القفية</u>
٩٣	أحمد القروى	مل	المبصر
٩٣	"	"	مخبّر
٩٣	"	"	أخضر
٩٣	"	"	أزهر
٩٣	"	"	العنبر
٩٣	"	"	المنبر
٩٣	"	"	ن
	"	"	مرمر
٩٣	"	"	الأصفر
٩٤	"	"	المفخر
٩٤	"	"	الحرى
٩٤	"	"	الأشعرى
٩٤	"	"	المسفر
٩٥	"	"	صرصر
٩٥	"	"	قيصر
٩٥	"	"	المسعر
٩٥	"	"	المتجدد
٩٥	"	"	الجوهر
٩٥	"	"	الأحمر
٩٥	"	"	المنحر
٩٥	"	"	عنصر
٩٥	"	"	الحرى

الصفحة	الشاعر	الدحر	القافية
٩٦	أحمد القرطبي	كامل	المنذر
٩٦	"	"	حمير
٩٦	"	"	للمتأخر
٩٦	"	"	نفسكر
٩٦	"	"	افخر
			(س)
١٩	محمد أبو راس	بسيط	النفس
			(ع)
٧٢	إبراهيم الفحيجي	طويل	أنطاع
٧٢	"	"	وقعا قع
٧٢	"	"	القناع
			(ك)
٢٠	أحمد بن سحنون	رجز	إشراك
٢٠	"	"	الإشراك
			(ل)
٢٠	"	"	الجبيل
٢٠	"	"	جبيل
٢٠	"	"	بطل
١٩	محمد النقيري	"	شوال
١٩	"	"	مقالى
٢٠	أحمد بن سحنون	"	الجلالى
٢٠	"	"	بالاجلال

<u>القافية</u>	<u>البحر</u>	<u>الشاعر</u>	<u>الصفحة</u>
(ن)			
سنبين	رجز	محمد النقيير	١٩
الكافر بن	،	،	١٩
ناجيننا	اسيط	حسن خوجة التركي	١٤
باغينا	،	،	١٤
باكيننا	،	،	١٤
لاديننا	،	،	١٤
(هـ)			
فيه	،	أحمد بن مسحنون	٢٠
يكفيه	،	،	٢٠

فهرس الألفاظ العجمية والاقليمية

اللفظة	الأصل	الصفحة
(ب)		
الباشا	تركية ٣٩، ٣٠، ٢٩	
البای	تركية ١٣، ١٤، ١٦، ١٨، ١٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥	
	٩٥، ٧٩، ٥٤، ٣١	
البياشى	تركية ٣٨	
باى لارباى	تركية ٥٠	
البرانيس	جزائرية اقليمية ٧٠	
البرنس	جزائرية اقليمية ٧٠	
(خ)		
الخلاصون	جزائرية اقليمية ٦٦، ٦٩	
الداى	تركية ١٦، ١٧، ١٩، ٢١، ١٣	
الدنوش	تركية ٣٠	
(ر)		
ريال بوجه	اسبانية ٦٤، ٦٩، ٧٤	
(ز)		
الزماله	جزائرية اقليمية ٥٨	
(س)		
صار مشق	تركية ٩٢	
(ط)		
الطبيجى	تركية ٥٥	
(م)		
الحلة	تركية ٤٣ : ٧٢	
الخازنية	جزائرية مغربية ٥٣، ٥٤، ٦٩، ١٠٠	
الخزن	جزائرية ، مغربية ١٧، ٥٨، ٨٣	
الميل	يونانية لا تينية	
(ف)		
النبراس	سريانية	